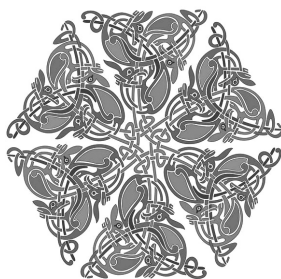


مُتَكَلِّمًا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلام على أصحابه البررة
المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين الى قيام يوم الدين.

أما بعد: لا يخفى أننا لازلنا بحاجة الى تكريس الجهود ومضاعفتها
نحو نشر المفاهيم الأخلاقية والتربوية وترسيخ المفاهيم الإيمانية التي
تضمنتها رسالة الإسلام لبناء الفرد بناء فعلياً حقيقياً ليكون انطلاقة
سليمة لبناء ذلك الكيان الإنساني الشامخ الذي ما هو إلا اللبنة الأولى
لبناء مجتمع إسلامي راسخ البنيان، عتيد المراسي.

لذا ومساهمة في ذلك جاءت برامج إذاعة الكفيل صوت المرأة
المسلمة كسبيل للوصول الى ذلك وقد أخذت هذه البرامج طريقها الى
أسماع الكثيرين عبر أثيرها وعبر شبكة الانترنت العالمية صوتاً ولأجل
تعميم الفائدة إرتأت الإذاعة إيصال برامجها كتابياً الى أيدي الذين لم
يسعفهم الوقت لسماعها وذلك بطباعة بعض من برامجها وإصدارها
ككراس.



الحلقة الأولى

من

سبيل الزاكين

الغنى والرزق

نتناول في هذه الحلقة مقطعاً آخر من دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) يقول فيه: «وأغني وأوسع عليّ في رزقك».

في هاتين الجملتين نقاط ينبغي التوقف عندها، وهي :

الغنى والرزق :-

الغنى ما يقابل الفقر، ولقد استعملنا غالباً في لسان الأدعية والروايات لما هو الأصل فيهما، وهو غنى النفس وفقرها، فغنى النفس أصل كل غنى وسببه، ومبعث غنى كل حواس الإنسان ومعقولاته، ولا خير في غنى البدن إذا لم يصاحبه غنى النفس.

أما السعة في الرزق فهو جزئي أو مصداق من مصاديق الغنى. ومن ثم فإن قول الإمام (عليه السلام) «أوسع عليّ في رزقك» في المقام هو من قبيل ذكر الخاص بعد العام، لأن سعة الرزق من مصاديق الغنى ومفرداته. والغنى مفهوم أوسع.

أما احتمال أن يكون قوله ﷺ «وأوسع علي...» عطفًا تفسيريًا على قوله ﷺ «وأغني»، وإن صحَّ في موارد أخرى فإنه قد لا يصحَّ في المقام، ويبدو بعيداً عن مقام البلاغة والأدب الرفيع لأهل البيت ﷺ، لأن الظاهر أن السؤال الأول للإمام هو في غنى النفس، أما سؤاله الثاني فهو في سعة الرزق خاصة. والإمام ﷺ وإن كان في مقام الدعاء، لكن من حيث إنه إمام فهو في مقام تعليمنا أيضاً، فهو يعلمنا أن نطلب من الله تعالى غنى النفس والسعة في الرزق معاً.

وإذا كان الأمر كذلك فلا يهَمُّ المرء سواء كان غنياً في ماله أم فقيراً ما دامت نفسه غنية، فهو في الحالين في معرض الامتحان والابتلاء، وكلا الامتحانين صعب سواء أكان في غنى المال أو فقره، بيد أن الإمام ﷺ مع ذلك يطلب من الله عز وجل السعة ويقول: «الهي أغني وأوسع علي في رزقك»، أما قوله «أغني» أنه أعم من غنى المال، وأما «وأوسع علي من رزقك» فلما سيأتي أن الفقر ليس مطلوباً وممدوحاً لنفسه بل على الإنسان أن يسعى لدفعه عن نفسه، فإن كان مقدراً له من الله مع ذلك عُدَّ محبوباً، وفي ذلك وردت الروايات التي تمدح الفقر، هذا مضافاً إلى أن كلمة الرزق استعملت هي الأخرى في الروايات للأعم من المال.

الغنى والفقر درجات :-

الغنى والفقر موضوعان مشكّكان- على حد التعبير المنطقي -
أي لكل منهما مراتب مختلفة تبدأ بالضعيفة ثم تزداد وصولاً إلى أعلى
المراتب.

عن عبد الله بن مسعود قال: «دخلت أنا وخمسة رهط من أصحابنا
يوماً على رسول الله ﷺ وقد أصابتنا مجاعة شديدة ولم نكن ذقنا منذ
أربعة أشهر إلا الماء واللبن وورق الشجر، قلنا: يا رسول الله إلى متى
نحن على هذه المجاعة الشديدة؟ قال رسول الله ﷺ: لا تزالون فيها ما
عشتم فأحدثوا لله شكراً فإني قرأت كتاب الله الذي أنزل علي وعلى من
كان قبلي فما وجدت من يدخلون الجنة إلا الصابرون».

فهذه مرتبة نازلة من الفقر بحيث لا يملك الفرد قوت يومه حتى
في أدنى مستويات المعيشة، وهناك مرتبة أعلى بأن يملك الإنسان قوت
يومه ولكن بمستوى أدنى أو لا يليق بشأنه، أو يكون كذلك وهو
أحسن ممن سبق ولكن لا يملك قوت سنته. فهذه الأقسام الثلاثة كلهم
فقراء بالاصطلاح الشرعي وإن اختلفت مستوياتهم.

والشيء نفسه يصدق بالنسبة للغنى، لأن الفقر والغنى متقابلان كما هو واضح، إذن فالفقر والغنى مفهومان مشككان كما قلنا، ومن ثم نلاحظ أن الإمام المعصوم عليه السلام مع أنه متصل بمصدر الفيض والعطاء، وهو الله تعالى، ومهما يعطيه سبحانه من الغنى في النفس لكنه يطلب المزيد قائلاً «وأغني» لأن الأمر لا يقف عند حدّ فهناك مجال للمزيد، والغنى مفهوم مشكك ذو مراتب، وعطاء الله تعالى ليس محدوداً أيضاً.

أجل إن المعصومين عليهم السلام هم أكثر المخلوقات «على الإطلاق» استدراراً لفضل الله تعالى في مختلف المجالات والميادين، ولكن مع ذلك، هذا لا يعني أن الإمام المعصوم لا يرى نفسه بحاجة إلى استعطاء الله تعالى وإلى سؤاله المزيد واستزادته في غنى النفس، وإن كان هو الأغنى والأرقى والأعظم والأعلى والأكبر والأقدر بالنسبة لنا، ولكن ذلك كله بقدره الله وفضله، ولا يقاس بما عند الله سبحانه وتعالى.

ومن يدقق في كلمات أهل البيت عليهم السلام يجد الكثير من الدقائق واللطائف سواء في الأدعية والزيارات أو في خطبهم ورسائلهم وكلماتهم الأخرى.

في هذه النقطة أودّ الإشارة إلى نكتة لطيفة، وهي لماذا لم يقل الإمام «وسّع عليّ في رزقك» بل قال: «أوسع عليّ في رزقك»؟.

وفي الجواب نقول: إن من أوليات علم الصرف أن صيغتي «فعل» و«أفعل» كليهما لتعدية الفعل اللازم، ولكن علماء الأدب يقولون: إن الصيغتين تختلفان في المعنى، وفي المقام نقول: إن أصل التوسعة يستفاد من باب الإفعال «أوسع» أما باب التفعيل «وسّع»، فيستفاد منه التكثير والزيادة وما أشبه في الغالب.

فالمستفاد من كلمة «وسّع» زيادة التوسعة. أما أصل تحقيق السعة إن لم تكن، فتفيدها كلمة «أوسع».

إذا اتضحت هذه المقدمة نفهم لماذا قال الإمام عليه السلام «أوسع» ولم يقل «وسّع» في دعائه، لأن الإمام عليه السلام يطلب الكفاف، ولا يبحث عما هو أكثر من ذلك. هذا بالطبع إذا كان المراد بالرزق المأكل والملبس وسائر الحوائج المادية فقط.

«مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرَاعِيِ إِبِلٍ، فَبَعَثَ يَسْتَسْقِيهِ، فَقَالَ: أَمَّا مَا فِي ضُرُوعِهَا فَصَبُوحُ الْحَيِّ، وَأَمَّا مَا فِي آيَتِنَا فَعَبُوقُهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوُلْدَهُ. ثُمَّ مَرَّ بِرَاعِي غَنَمٍ فَبَعَثَ إِلَيْهِ يَسْتَسْقِيهِ فَحَلَبَ لَهُ مَا فِي ضُرُوعِهَا وَأَكْفَأَ مَا فِي إِنَائِهِ فِي إِنَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِشَاةٍ وَقَالَ: هَذَا مَا عِنْدَنَا وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ نَزِيدَكَ زِدْنَاكَ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ الْكَفَافَ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعَوْتَ لِلَّذِي رَدَّكَ بِدُعَاءٍ عَامَّتُنَا نُحِبُّهُ، وَدَعَوْتَ لِلَّذِي أَسْعَفَكَ بِحَاجَتِكَ بِدُعَاءٍ كُنَّا نَكْرَهُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَهْيَ، اللَّهُمَّ ارْزُقْ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ الْكَفَافَ».

الحلقة الثانية

من

سبيل الزاكيين

الفقر والكسل

أنفق بقدرٍ في ما استفتدت ولا تسرف وعش فيه عيش مقتصدٍ

من كان فيما استفاد مقتصداً لم يفتقر بعدها إلى أحدٍ

تحدثنا في الحلقة الماضية عن قوله عليه السلام «وأغني وأوسع عليّ في رزقك» وما زال الحديث يدور حول هذه الفقرة من الدعاء.....

ان أدعية الأئمة على نحوين :

هناك موارد يدعو فيها الإمام عليه السلام ويكون الدعاء خاصاً به أو بالمعصوم فقط، وهناك موارد يكون الإمام عليه السلام بصدد تعليمنا أيضاً، ومن ذلك تعليم الأئمة عليهم السلام المباشر لبعض أصحابهم، كقولهم عليهم السلام مثلاً: «قل بعد كل فريضة» وما أشبه، وكما هو الحال في الزيارات أيضاً، فثمة زيارات أداها الإمام المعصوم للإمام المعصوم الذي سبقه كزيارة الإمام السجاد لأبيه الإمام الحسين عليه السلام أو زيارة الإمام الصادق لجده الإمام أمير المؤمنين أو الإمام الحسين عليهم السلام، وهناك زيارات علّموها بعض أصحابهم، فنقرأ في رواية أن الإمام عليه السلام قال لأحدهم «زر بهذه الزيارة» وأمثال ذلك.

إذا تمعنتم في كلمات الزيارة التي يزورها الإمام خاصة وتلك التي يعلمها الأصحاب والشيعة لرأيتم بعض الفرق، فمثلاً توجد في زيارة أنصار الإمام الحسين (عليه السلام) في آخر زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) المعروفة بزيارة «وارث» عبارة: «بأبي أنتم وأمي» ولو دققتم في سند هذه الزيارة لرأيتم أنها الزيارة التي علّمها الإمام الصادق (عليه السلام) صفوان وقال له: «زر بهذه الزيارة» «يعني زيارة وارث». أما الإمام الصادق (عليه السلام) وهو المعصوم فلا يُعقل أن يخاطب غير المعصوم - مهما عظم قدره - بقوله «بأبي أنت وأمي»، فلا شك إذن أنه (عليه السلام) قد زار جده الحسين (عليه السلام) بزيارة أخرى. وهذه نكات لطيفة جداً لا بد من الالتفات إليها.

لعلّ الإمام (عليه السلام) لم يقل «وسّع» بل قال «أوسع» مع أن في أدعية أخرى وردت بصيغة «وسّع» لأنه كان يدعو لنفسه وهو (عليه السلام) يكتفي بأصل السعة، إلا إذا كان المال ينتفع به لخدمة الدين وسائر الأمور الخيرية كصلة الرحم ومساعدة الفقراء وما أشبه، فذلك كلام آخر.

وهناك تأمل آخر في قول الإمام (عليه السلام) «وأوسع عليّ»، فإن «على» تستعمل للضرر إلا لNKة بلاغية، فكأن الإمام (عليه السلام) أشرها وضمّنها معنى الفوقية والنزول من الله وانصبها على الإنسان وإحاطتها به،

كالرحمة مُثَّل لها بالمطر الذي ينزل من السماء ولم يُمَثَّل لها بالينبوع، مع أن الماء ينبع من باطن الأرض أيضاً، لأن المطر إذا نزل يغمر الإنسان الذي يقف تحته، أما الماء الخارج من النبع فإنه لا يغمر الإنسان وإن ذهب إليه واستفاد منه. وحيث إن سعة الرزق صادرة من الله تعالى فقد ضُمَّنت وأُشربت معنى الفوقية، ولذلك قال الإمام (عليه السلام): «وأوسع علي».

ورب سائل يتبادر إلى ذهنه لماذا استعمل الإمام حرف الجر «في» فقال: «وأوسع علي في رزقك» ولم يقل «من رزقك» كما في أدعية أخرى؟

الجواب: حرف الجر «من» إما تبعيضية أو للبيان. فلو رفعنا «في» ووضعنا «من» مكانها فإما أن يكون المعنى «أوسع عليّ بعض رزقك» أو «أوسع عليّ رزقك» لأن وجود «من» في الحالة الثانية يكون وجوداً لمحياً أو لجمال التعبير، أما من حيث المعنى فوجوده وعدمه سواء.

أما لو قلنا إن «في» تحمل معنى ظرفياً فيمكن أن نفهم منه نكتة أدبية أخرى وهي التشبيه، فكأن الرزق ظرف ووعاء يعيش فيه الإنسان، والإمام (عليه السلام) يطلب من الله تعالى أن يوسع، فلو كان متراً مربعاً مثلاً يجعله مترين، ولو كان ثلاثة يجعله عشرين وهكذا، وهذا أبلغ مما لو

قال: «من رزقك».

وهكذا يتبين لنا أن الأئمة عليهم السلام مع أنهم كانوا منصرفين كمال الانصراف - بما للكلمة من معنى وسعة - إلى الله سبحانه وتعالى، خاصة عند تكلمهم معه، نراهم في الوقت نفسه لا تفوتهم هذه الدقائق البلاغية، وهي لا تصرفهم عن توجيههم إلى الله عز وجل، لأنها ملكة عندهم وهم عليهم السلام أمراء الكلام، كما أن شعورهم بحضور الله ملكة، وإنما نحن بحاجة إلى تأمل وتفكر من أجل الالتفات إلى هذه الدقائق.

الفقر المذموم والفقر الممدوم :

نأتي الآن إلى مسألة مهمة ونقول: هناك روايات كثيرة تمدح الفقر وأخرى تذمه، وهذا يبدو تناقضاً أو تعارضاً للوهلة الأولى، ولكن لا شك أنه لا تناقض ولا تعارض في البين لأن الموارد تختلف.

بدءاً لا بد من الإشارة إلى أن هناك آيات وروايات تحت وتندب - وأحياناً توجب وتفرض - على الإنسان السعي والعمل من أجل الحصول على الرزق، فلا بد أن يعمل الناس ليكسبوا أرزاقهم، كل حسب مقدرته. وهذا الأمر يكشف أن الفقر في الأصل مذموم، لأن

السعي والعمل يوجبان الحصول على الرزق وكسب المال وطرده الفقر.

أمّا، إذا بذل الفرد كلّ ما بوسعه ولكنه لم يغنَ مع ذلك إما لضعف مواهبه وإمكاناته وإما لأُمور مقدرة أُخرى أبقتَه فقيراً، فهذا الفقر ليس مذموماً لاشك، وهو مورد الروايات التي يُفهم منها المدح.

أمّا إذا قصّر الفرد في السعي ولم يخرج إلى العمل وبقي فقيراً لذلك، فهذا هو الفقر المذموم، الذي قيل عنه أنه: «سواد الدارين»، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «ملعون من ألقى كلّهُ على الناس». وهناك رواية أُخرى فيها تأكيد: «ملعون ملعون من ألقى كلّهُ...».

نُقل أن أحد العلماء مرّ بفقرٍ مفترشٍ الأرض يستعطي الناس، فقال له: مدّ يدك لأعطيك مقداراً من المال وإن كان زهيداً، فمدّ الشخص يده واستلم المال فقال له العالم: مدّ يدك الأخرى واستلم مقداراً آخر، ومدّ الشخص يده الأخرى واستلم مرةً أُخرى، ثم قال له العالم: هناك مقدار آخر، مدّ إحدى رجليك لأناولها لك. وهكذا فعل المستعطي، ومرةً أُخرى طلب العالم منه أن يمدّ رجله الأخرى وأعطاه مقداراً آخر، وأخيراً قال له: قم وقف على قدميك وتقدم نحوي لأناولك آخر ما

تبقى، وهكذا كان. وهنا توجه العالم إليه وقال له: إذا كانت يدك اليمنى سالمة ويدك اليسرى كذلك، وهكذا قدماك وبدنك، فلماذا تستعطي إذن؟ اذهب وكدّ في طلب الرزق!

قال الإمام الباقر: عليه السلام «سأل موسى ربه: أي عبادك أبغض إليك؟ فقال: جيفة بالليل بطل بالنهار».

ويمكن أن يكون لهذا الحديث مصاديق متعددة المراتب - فليس الأمر دائراً بين الوجود والعدم - فقد يكون من المصاديق من هو كلّ الليل جيفة وكلّ النهار بطل، فلا تأمل عنده ولا استغفار ولا تفكر في الليل، ولا كسب ولا عمل ولا جهاد في النهار، وهذا أبغض المراتب. ومنهم من هو بعض الليل جيفة وبعض النهار بطل.

إن الراحة مطلوبة للإنسان سواء في الليل أو في النهار، «وإن لبدنك عليك حقاً» وهذه الراحة بالمقدار المطلوب لا تعدّ من البطالة أصلاً بل هي مطلوبة للتقوي على العمل والعبادة، أما ماعدا ذلك فلا ينبغي للإنسان أن يضيع حتى دقيقة واحدة من حياته.

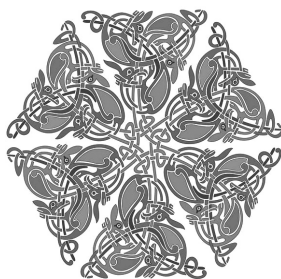
عَنْ زُرَّارَةَ قَالَ: إِنَّ رَجُلًا أَتَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ «الصادق» عليه السلام فَقَالَ: إِنِّي

لَا أُحْسِنُ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا بِيَدِي وَلَا أُحْسِنُ أَنْ أَتَجَرَّ وَأَنَا مُحَارِفٌ مُحْتَاجٌ.
فَقَالَ: «اعْمَلْ فَأَحْمِلْ عَلَى رَأْسِكَ» أَيِ اعْمَلْ حَمَالًا «وَأَسْتَغْنِ عَنِ النَّاسِ».

فالفقير الذي لا يعمل وهو قادر على العمل هو الذي يقال عن فقره أنه سواد الدارين، أما أولئك الذين لا يتكاسلون ولا يتقاعسون عن الجد والاجتهاد والسعي والعمل، وهم مع ذلك فقراء فأولئك المقربون عند الله تعالى وهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء يوم القيامة.

روي أن النبي ﷺ دعا فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، فسئل: يا رسول الله أيعذلان؟ قال ﷺ: نعم».

إذن الفقر في نفسه مذموم لدرجة أن النبي ﷺ يتعوذ منه ويقرنه بالكفر في دعاء واحد، ومنه يظهر أن الفقر قد يؤدي إلى الكفر، بل روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «كاد الفقر أن يكون كفراً».





الحلقة الثالثة

من

من

سبيل الزاكنين

مصدر الرزق

يقول الإمام عليه السلام «وأغنتني وأوسع عليّ في رزقك». لابد من السعي والتوكل معاً قد يقال لماذا قال الإمام «رزقك» ولم يقل «رزقي»؟

وفي الجواب عن هذا التساؤل نقول:

الرزق مصدر فإن قلنا «رزقك» فمعناه الرزق النازل منك، أي من الله تعالى، وإن قلنا «رزقي» فمعناه الرزق الواصل إليّ، أي إلى العبد.

وهنا علاقة تضاييف، ودائماً لا يعقل تصور أحد المتضايفين من دون تصور المضاف الآخر. فإذا قلنا «رزقي» فلا بد أن يتصور مَنْ صدر عنه الرزق وهو الله تعالى، وإن قلنا «رزقك» فلا بد أيضاً من تصور من ينزل الرزق إليه، وهو العبد. ولذلك نلاحظ ورود التعبيرين كليهما في الأدعية.

وعندما يرد تعبير رزقك فإنما يراد الإلفات إلى أن الله تعالى هو مصدر الرزق وهو الذي بيده كل شيء، فيلحّ العبد في الدعاء ويطلب من الله أن يوسع رزقه إن كان مقتراً، وأما عندما يرد لفظ «رزقي» فإنما

يشير إلى الحصة الخاصة بالمرزوق، وقد يكون في ذلك ملح إلى وجوب السعي والجد والاجتهاد، لأن طلب الرزق كسائر الأمور لا بد له من الركنين معاً: السعي استناداً لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾، والدعاء والتوكل على الله لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾.

لاشك أن الدعاء وحده لا يكفي بل لا بد من السعي مع ذلك، كما أن السعي وحده غير مضمون النتائج، فلا بد من السعي والدعاء معاً.

أجل إذا سعى غني النفس في رزقه ولم يكن بطالاً، ولكن كتب عليه أن يكون معسراً، فإنه لا يمدّ عينيه إلى من متعهم الله بنعم الحياة الدنيا والمال الوفير، ولا يتحسر ولا يأسى بل يرضى بما قدر الله تعالى وكتب له.

وخلاصة القول: إن غنى النفس هي الأساس ومن حاز على غنى النفس في مراتبه العالية فقد حصل على كل شيء وانفتح له باب كل خير في الدنيا، وهذا الأمر بالغ الصعوبة إلا أنه ممكن.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للسعي في تحصيل مراتب عليا

من غنى النفس والسعة في الرزق، وأن يستجيب لنا هذين الدعاءين «واغنني وأوسع عليّ في رزقك» ومن أراد المزيد من الرزق فلا بأس بأن يقول ولكن على نحو مستقل عن هذا الدعاء: ووسّع علي في رزقي.

يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق: «وأعزني ولا تبليّني بالكبر».

إن العزة والكبر هما من حالات النفس الإنسانية التي تظهر على جوارح الإنسان وعمله، وإظهار الكبر يسمى تكبراً، كما في كتب اللغة. والكبر والتكبر مذمومان، أما العزة فمحمودة ويقابلها الذل وهو مذموم أيضاً.

والعزيز من أعزه الله تعالى، ولذلك يقول الإمام عليه السلام: «وأعزني» أي إلهي أنت امنحني العزة، وورد في بعض الأدعية: «اللهم أغنني بالافتقار إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك».

وهذا معناه أن الغنى هو أن يرى العبد نفسه محتاجاً إلى الله تعالى، فهذا هو الغنى كلّ الغنى بل رأس الغنى باعتباره سبب كلّ غنى، فإن السبب إذا وُجد، وجد المسبّب أيضاً. أما من يرى نفسه مستغنياً عن الله

تعالى فهو الفقير حقاً فتراه يقول: إنني أتقدم بفكري، وأتفوق بعملِي وأسيرّ أموري بنفسي، ولقد أوتيت ما أوتيت على علم منّي، ولا يشعر في أعماقه بالحاجة إلى الله تعالى مع أنه قد يصلي ويصوم ظاهراً، وهذه هي الذلة حقاً.

إن مسألة العزة والذلة مسألة دقيقة كبقية المسائل النفسية، فما هو ملاك العزة؟ هل يُعدّ أخذ المال من الآخرين عزة أم ذلة؟

نقول في الجواب: إنه قد يكون عزة وقد يكون ذلة، فليس بوسعنا أن نحكم دوماً على عمل واحد صدر في موردين بأنه مصداق للعزة أو الذلة في الموردين معاً، لمجرد كونه عملاً واحداً، بل لابد من معرفة جهة انتسابه، فإن كان لله تعالى فهو عزة، وإن كان لغير الله كان ذلة.

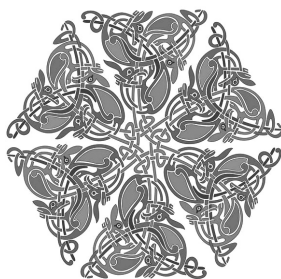
فالعبودية لغير الله ذلة ما دونها ذلة، أما العبودية لله تعالى فهي أعظم عزة، فإن الدليل من لم يكن عبداً لله تعالى.

وقد وردت العزة في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام): روي عن أساطين البلاغة في التاريخ أنهم قالوا:

تكلم أمير المؤمنين (عليه السلام) بتسع كلمات إرتجلهن إرتجالاً فقأن عيون البلاغة وأيتمن جواهر الحكمة وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهن، ثلاث منها في المناجاة، وثلاث منها في الحكمة، وثلاث منها في الأدب، فأما اللاتي في المناجاة فقال: «إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً» فيكون معنى قولهم هو: أن كل الكلام الفصيح الذي تفوّه به الألوّف من الفصحاء عبر التاريخ لو تُخَيِّل في صورة وكانت عارية من هذه الكلمات التي قالها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فستظلّ تلك الصورة عمياء.

إن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو صاحب كلمات نهج البلاغة، وإن أهل البيت (عليهم السلام) هم أمراء الكلام، بل أمراء كل فضيلة وكمال وجمال وجلال ومنه الكلام الجميل والفصيح، ولكن هذه الكلمات بلغت أهمية في البلاغة والفصاحة استحققت ذلك التوصيف الذي ورد في كتب الأدب والتاريخ.

فإذا كانت العزة تعني ترفع النفس عن الأشياء الدنيئة، فإن عبودية الله تعالى هي أعلى درجات العزة، لأنها عبودية لمن يملك كل شيء في الوجود، وهي - أي عبودية الله - تعني الارتباط بالمطلق.



الحلقة الرابعة

من

سبيل الزاكين

قدرة الله عزوجل

روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً أنه قال: «كلّ عزيز داخل تحت القدرة فذليل».

فمن كان محكوماً لقدرة ما فقد شمله الذلّ لها وإن كان يتظاهر بالعزة، وما العزة التي يتسمى بها إلا قشرة ظاهرية ولكنه في الحقيقة ذليل لأنه أسير شهواته، لا فرق في ذلك بين شهوة المال أو البطن أو حب الظهور أو غيرها من الشهوات.

أما الذي لا يرى القدرة إلا قدرة الله تعالى فهذا له العزة بعينها، وهكذا ما يرتبط بالله تعالى كأهل البيت عليهم السلام، لأنه يقود إلى عبودية الله تعالى، بل هكذا أيضاً من يقوم بتلبية حاجات مادية كالأكل والسكن، ولكن كان منطلقه إلهياً - سواء كان ذلك من باب الوجوب أي استجابة لأمر إلهي يعاقب الله على تركه، أو الاستحباب أي الاستجابة لأمر يحبه الله مطلقاً - فهي العزة أيضاً، أما الاستجابة للشيطان والنفس الأمّارة بالسوء فلا يمكن أن تكون عزة أبداً، لأنها ليست ترفعاً بل هي انحطاط وذلة!

إذن، الهدف والمنطلق هو الذي يمنح العمل هويته، ولذلك ورد في الحديث الشريف: «إنما الأعمال بالنيات». وفي الحديث القدسي: «من تواضع لله رفعه». وفي حديث قدسي أيضاً: «من تواضع لغني طلباً لما عنده ذهب ثلثا دينه».

أما إذا تواضع المرء لغني لغرض أن يوجّهه ويرشده لأمر الخير فهذا ليس مصداقاً للذلة بل هو عزة أيضاً، وقد يجب إذا كان من باب مقدمات الوجود، كما عبّر عن ذلك الفقهاء رضوان الله تعالى عليهم.

وخير مثال على عزة النفس أبوذر رضي الله عنه روي أنه أرسل عثمان بن عفان مع عبد له كيساً من الدراهم إلى أبي ذر وقال له: إن قبل هذا فأنت حرّ، فأتى الغلام بالكيس إلى أبي ذر وألحّ عليه في قبوله فلم يقبل، فقال له: اقبله فإنّ فيه عتقي، فقال أبوذر: نعم، ولكن فيه رقي.

وقد تعرض الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأقرباؤه وأصحابه إلى أنواع الأذى البدني والنفسي، وتعرضوا للسب والشتم ومع ذلك يقول الإمام الحسين عليه السلام «لقد ركز «أي يزيد» بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة». وهذا معناه أن كل ما تعرض له الإمام عليه السلام وأصحابه

لم يكن ذلّة بل كان عزّة.

رُبّ موقف واحد من الإمام الحسين عليه السلام لم يستغرق منه حتى ساعة كان سيرضي يزيداً ويحول دون كل تلك المصائب والمحن التي حلّت بالإمام الحسين وآله وأصحابه. فلو بايع الإمام عليه السلام عامل يزيد على المدينة باعتباره نائب يزيد، لما تعرض للقتل ولا جرى على أهل بيته ما جرى ولأعقد عليه يزيد من الأموال والأموال الدنيوية الكثير الكثير، ولكن الإمام عليه السلام كان يرى أن هذه البيعة ذلة، فتحمل هو وأهل بيته وأصحابه ما تحمّلوا ولم يرضوا بالذل.

لقد رضي الإمام عليه السلام أن يعلو بدنه الشريف شخص دنيء مثل شمر ولم ير ذلك ذلاً، بل كان يراه عين العز مادام في طاعة الله تعالى، خلافاً للرضوخ ليزيد، فكان الإمام عليه السلام يراه ذلة، والذلة بعيدة بنفسها عن أهل البيت عليه السلام، ولذلك قال الإمام عليه السلام «هيهات منا الذلة» أي هي بعيدة عنا فلا تصلنا.

ومن يكن قريباً من أهل البيت عليه السلام وتوجّهاتهم يدرك أن مواقفهم كلها عزيزة لأنها في طاعة الله تعالى أبداً، وفي السياق نفسه يفهم المؤمن

موقف الإمام الحسن (عليه السلام) وأنه كان يمثل العزة مع أنه أغمد سيفه ولم يخرج كما خرج أخوه الإمام الحسين (عليه السلام)، ويعرف المؤمن خطأ من خاطب الإمام الحسن (عليه السلام) بقوله: «يا مذلّ المؤمنين».

إننا لا نستطيع أن نحكم دائماً على عمل واحد صدر في موقفين بأنه عزة في الموقفين أو ذلة فيهما. لقد كان موقف الإمام الحسن (عليه السلام) تمهيداً لنهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، فكان صلح الإمام الحسن (عليه السلام) عزة كما كانت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته عزة، لأن منطلقهما كان واحداً وإن اختلفا ظاهراً.

إن العزة ليست في ترفع الإنسان عن أقربائه وعشيرته، بل هي العبودية لله تعالى ومعرفة ما هي الواجبات وما هي المستحبات والعمل بهما، وما هي المحرمات وما هي المكروهات والابتعاد عنهما، لأن الذلة في الإتيان بما يُسخط الله تعالى.

وآفة العزة الكبر لأن فيها ميلاً واقتضاءً قوياً لذلك ما لم تُضبط، ولذلك عقّب الإمام زين العابدين (عليه السلام) في دعائه بقوله: «ولا تبليّني بالكبر».

إن العزة فرض على المؤمن، كما في روايات مستفيضة بل متواترة ومنها الرواية الشريفة التالية: قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): «إن الله عز وجل فوّض إلى المؤمن أموره كلّها ولم يفوّض إليه أن يذلل نفسه ألم تسمع لقول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، فالمؤمن ينبغي أن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً. يُعزّه الله بالإيمان والإسلام».

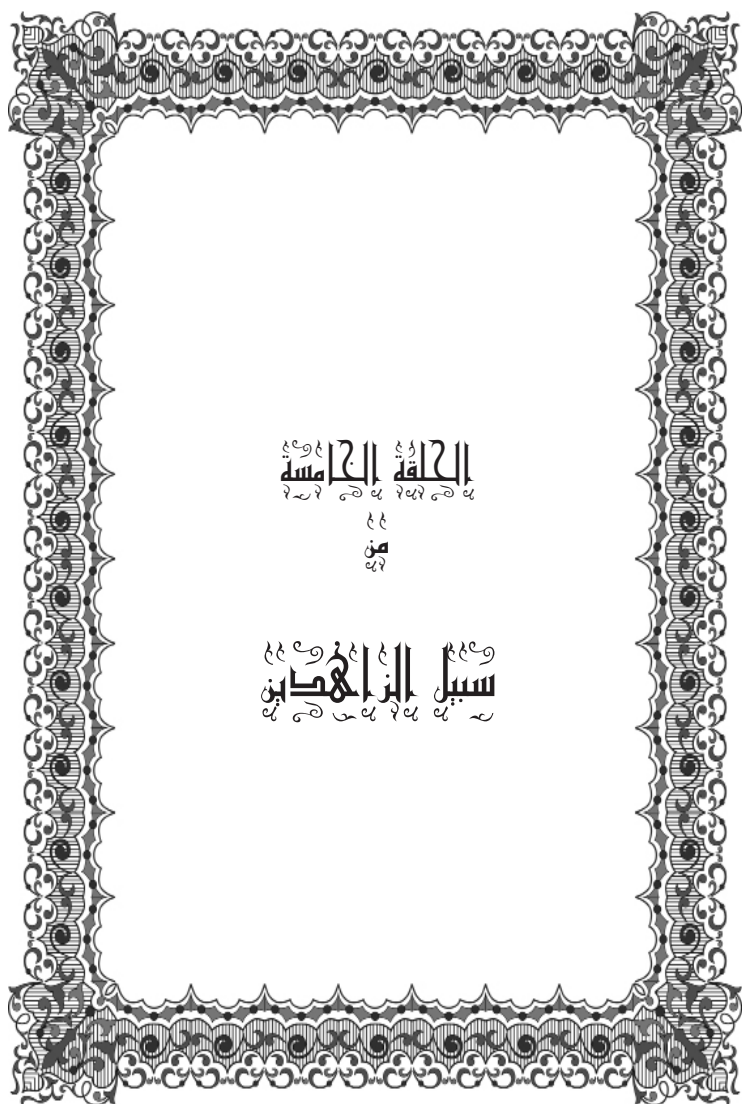
فالمؤمن لا يذلل نفسه مثلاً من أجل أكلة يشتهيها، بل يصرف نفسه عنها، فإن لم يمكنه الحصول على ما اشتهى اليوم أجله لغد، وإن لم يمكنه أبداً طوى عنه كشحاً ولم يهتم له كثيراً. فماذا يحدث لو لم يأكل بعض ما اشتتهه نفسه؟

والمؤمن إن لم يستطع أن يسافر اليوم سافر غداً، بل قد لا يسافر إن كانت في ذلك ذلة، أو كان الأمر متوقفاً على طاعة شهواته، فمن كان خاضعاً لهواه أو لقوة أخرى من أجل بلوغ شيء ما، كانت عزته داخلة تحت القدرة وينبغي له أن ينتشل نفسه من هذه الحالة.

وهكذا حال من يتجاوز الحدود التي فرضها الله تعالى، يظنّ نفسه عزيزاً لكنه الذليل ولا يعلم، فتراه مثلاً يفتخر بأنه ضرب فلاناً لأنه

قال له كذا وكذا، مع أن الإنسان لا يحقّ له أن يضرب شخصاً لمجرد أنه تكلم عليه، ولكن لهيب النفس أشدّ من لهيب الشمس!!

وإذا كانت الزيادة في لهيب الشمس قد تؤدي بحياة بعض الناس، فقد يموت شخص وهو في الخمسين بسبب الحالة، وكان مقدراً له أن يعيش سبعين لولا إصابته بلهيب الشمس، فإن اللهب المنبعث من النفس البشرية قد تؤدي إلى إتلاف ملايين السنوات من عمر الإنسان في الآخرة!



الْحَقُّ الْحَقُّ

لَهُ

مِنْ

سَبِيلِ الْإِسْلَامِ

عبادة سيد الساجدين عليه السلام

و

عبادة أمير المؤمنين عليه السلام

لاشك أن العقل محتاج لنور الوحي لأن العقل مخلوق محدود، وخالقه هو الذي يعلم ما خلق وكيف خلق، وهو سبحانه العالم بأن هذا العقل محتاج إلى الاستمداد من الله تعالى، والاستنارة بمن بعثهم الله سبحانه - سواء بعثة مباشرة كالأنبياء عليهم السلام أو بعثة غير مباشرة وهم الأئمة المعصومون عليهم السلام ومن هنا نرى الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا الدعاء وفي غيره من الأدعية يعلمنا ويدعو بنفسه طالباً من الله تعالى أن يعزّه، وهذه هي قمة العزة، لأن الشعور بالافتقار إلى الله تعالى هو قمة الاستغناء وليس أن يكون الشخص رئيساً قوياً مطاعاً أو تاجراً ناجحاً أو مدرّساً مشهوراً، وإنما أن يشعر المرء من أعماقه بأنه محتاج إلى الله تعالى. فإن لم يشعر الإنسان بذلك فهو لا يعدو أن يكون ذليل المنصب أو المال أو العلم أو الأدب أو المكانة الاجتماعية، لأنه لا يعدو أن يكون داخلاً تحت قدرة إحدى هذه الأمور أو غيرها.

ثم يقول الإمام عليه السلام: «ولا تبتليني بالكبر» أي إلهي أنت إذ استجبت

دعائي وأعطيته العزة، فالآن لا تبتليني بالكبر، والابتلاء قد يكون بمعنى الاختبار والامتحان، وقد يكون بمعنى البلاء والبلية، الأمر سيان لأن أحد المعنيين سبب والآخر مسبب.

هناك حالات كثيرة يتصور الإنسان أنه يتصرف فيها بدافع العزة مع أنه كبر في الحقيقة.

علينا أن نفرّق بين العز والكبر، فنسأل الله أن يمنحنا الأول ويحبّبنا الثاني، يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام) في الدعاء أيضاً: «وعبدي لك ولا تُفسد عبادتي بالعجب».

فهو يسأل الله سبحانه وتعالى الفضائل ويطلب منه أن يقيه ويحفظه مما يفسدها، لأن لكل فضيلة آفة تفسدها، والإمام يطلب من الله الفضيلة ويستعيذ به مما يفسدها، فقد ذكرنا في الحلقات السابقة قول الإمام (عليه السلام): «وأوسع عليّ في رزقك ولا تفتني بالنظر أو بالبطر» فهما من آفات الرزق الواسع، والإمام يطلب من الله السعة في الرزق والوقاية من البطر أو النظر، وقوله (عليه السلام): «وأعزني ولا تبتليني بالكبر» لأن آفة العزة الكبر وهو مرض الباطن كما أن التكبر مرض في الظاهر.

ويقول الإمام (عليه السلام): «وأجر للناس على يدي الخير ولا تمحقه بالمن» لأن المن آفة عمل الخير للناس، ويقول (عليه السلام) أيضاً: «وهب لي معالي الأخلاق واعصمني من الفخر» لأنه آفة معالي الأخلاق، وهاهنا يقول الإمام (عليه السلام): «وعبدي لك ولا تُفسد عبادتي بالعجب»، فإن العبادة فضيلة يطلبها الإمام من الله، ولكن آفتها العجب ولذلك يطلب الإمام من الله تعالى أن يقيه منه. إذن في هذه الفقرة أيضاً يطلب الإمام طليين من الله تعالى وهما التعبيد والوقاية من العجب الذي يفسد العبادة.

معنى التعبيد :-

لم يرد استعمال هذا الإشتقاق «التعبيد» في الأدعية التي وصلتنا على كثرتها إلا نادراً، وربما لم يرد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة وذلك في قوله تعالى حكاية عن موسى على نبينا وآله وعليه السلام مخاطباً فرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١)، إن فرعون اتخذ بني إسرائيل عبيداً وجعل يعاملهم معاملة العبيد، ثم أخذ يمتن على موسى (عليه السلام) في تربيته ويقول له كما حكاها القرآن الكريم: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾^(٢)، فردّ عليه موسى (عليه السلام) بالقول:

(١) الشعراء ٢٢

(٢) الشعراء ١٨

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١) ، أي لم حرمت أهلي من تربيتي وهددت قومي فاضطرت أمي إلى إلقائي في البحر، فإن وقوعي بين يديك وتربيتك إياي كانت بسبب تعبيدك لبني إسرائيل وخوفهم منك ومن بطشك، فهذه ليست منة بل هي جناية لأنها تعبيد وإخافة وبطش وإرهاب، فما وجه المنة؟.

إذن يكون معنى قول الإمام عليه السلام «عبدني لك»: اتخذني عبداً أو اجعلني عبداً، والمعنى الثاني أدق من باب مناسبة الحكم والموضوع على حد تعبير الفقهاء، لأن الاتخاذ نوع خصوصية وامتياز كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(٢) أي خصّه بهذه الفضيلة.

اذن: إن معنى «عبدني لك»: اجعلني عبداً لك. ولكن قد يثار سؤال هنا، وهو: أليس الخلق كلهم عباد الله؟ أليس الله مالك الملك كله كما نقرأ في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾^(٣) فلماذا يطلب الإمام من الله أن يجعله عبداً له؟ بعبارة أخرى: إذا كانت عبوديتنا لله تكوينية قهرية فالله تعالى هو الذي خلقنا ونحن عبيده، فما

(١) الشعراء ٢٢

(٢) النساء ١٢٥

(٣) آل عمران ٢٦

معنى طلب أن يجعلنا عبيداً له؟

في الجواب عن هذا السؤال نقول: المقصود هنا هو القيام بما تقتضيه العبودية، والتوفيق لأن يأتي العبد بما ينبغي له، وهذا الأمر يتطلب دعاءً، ولذلك نرى الإمام عليه السلام وهو القمة في العبودية لله تعالى يطلب ذلك من الله تعالى ويقول: «وَعَبْدِي لَكَ» أي يا إلهي أنت امنحني التوفيق لأن أعبدك حقَّ عبادتك.

هب أن أحداً منّا عمل ما في وسعه وطاقته في عبادة الله تعالى، وقام بكلّ ما ينبغي له من فروض العبودية من قيام بالواجبات والمستحبات ومن ترك للمحرمات والمكروهات، بل عمل بوصية النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر وهي وصية عظيمة جداً حيث يقول صلى الله عليه وآله: «يَا أَبَا ذَرٍّ لَيْكُنْ لَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ نِيَّةٌ صَالِحَةٌ حَتَّى فِي النَّوْمِ وَالْأَكْلِ» أي أن يسعى العبد لجعل كل أعماله حتى المباحات عبادة لله سبحانه وتعالى، فهل يكون قد وُفّي حق الله تعالى في العبادة وبلغ ما يليق بمقامه؟

كلاً لم يبلغ حتى بنسبة القطرة إلى البحر، وهذا ما ندركه نحن بمستوانا، ناهيك عن المقدار والمستوى الذي لا نشعر به ولا ندركه!

إذن يكون معنى عبارة الإمام السجاد (عليه السلام) في قوله: «وعبّدي لك»: إلهي إن عبادتي ليست في مستواك وهو منزّه عن المستوى ولا تليق بمقامك فاعتبرها «مجازاً وتوسّعاً» في مستواك. هذا ما نستفيدة من سؤال الإمام (عليه السلام).

ومما يروى عن عبادة الإمام زين العابدين (عليه السلام) وكذلك عظم عبادة جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه: «دخل أبو جعفر الباقر (عليه السلام) ابنه عليه - أي على الإمام السجاد (عليه السلام) - فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد فرآه وقد إصفرّ لونه من السهر ورمضت عيناه من البكاء ودبرت جبهته وانخرم أنفه من السجود وقد ورمّت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة فقال أبو جعفر (عليه السلام): فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء فبكيت رحمة له، فإذا هو يفكر فالتفت إليّ بعد هنيئة من دخولي فقال: يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فأعطيته فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجراً وقال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب (عليه السلام)؟».

الحلقة السادسة
من

سبيل الزاكيين

شرائط العبادة

إن القيام بالعبادة لا يكفي ما لم يعتبرها المعبود كذلك أي تكون عبادة عنده، فإن علاقة العبودية كعلاقة الحب ترتبط بطرفين، وكل أمر مرتبط بطرفين بحاجة إلى موافقة الطرفين.

فما فائدة أن يقول الابن لأبيه مثلاً: إني أحبك ولكنه يأتي بما يغضبه.

وهكذا الحال بالنسبة للعبادة، لا يكفي أن يقول المرء أنا أعبد الله، بل المهم هو القبول من المعبود، صحيح أن التكليف يسقط عن العبد إذا قام بالعبادة وكانت جامعة للشرائط والأجزاء التكليفية وفاقة للموانع والقواطع التكليفية، ولكن القبول شيء آخر، والإمام عليه السلام يعلمنا في هذا الدعاء أن نطلب من الله تعالى أن يقبل عبادتنا لأننا لا نعلم إن كنا قد أدّيناها بما يليق بمقامه تعالى أم اقتصرنا على إسقاط التكليف! ومن ثم نسأله تعالى ونقول له: «وعبدني لك» أي اجعلني اللهم عبداً مقبول العبودية عندك.

ذكرنا آنفاً أن لكل فضيلة آفة، وآفة العبادة العجب، ولذلك نرى الإمام عليه السلام يقرن دعاءه وسؤاله من الله عز وجل أن يعبد له بأن

لا يفسد عبادته بالعجب، فالإنسان وإن بلغ القمة الشاخحة في العبادة يكون معرضاً للمزالق أو ما عُبر عنه بالزحاليف كما ورد في دعاء الصباح للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وصلّ اللهم على الدليل إليك في الليل الأليل والثابت القدم على زحاليها في الزمن الأول» يعني به الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله.

إن الرياء أثناء العبادة مبطل لها، فإن العبد إذا رآى في صلاته فإنها تبطل ويجب عليه قضاؤها وإلا حوسب على عدم الإتيان بالصلاة يوم القيامة لأن تلك الصلاة لم تسجل في قائمة أعماله، وسيحاسب ويعاقب على تركها، وإذا قال إنه صلاها فيجانب إنها لم تكن صلاة لأنها كانت مقرونة بالرياء، فكأنه لم يأت بها أصلاً، وهذا أمر يقرّه العقلاء، فلو أن مولى طلب من عبده أن يأتيه بقدر من الماء وامثل العبد وجاء بالماء ولكنه صبّه على الأرض عند قدمي المولى، فإنه لم يحقق الغرض المطلوب الذي أمر به المولى وإن أتى بصورة العمل، وهكذا الحال بالنسبة للمرائي.

أما العُجب فالمشهور بين الفقهاء حسب الروايات أنه ليس مبطلاً للعبادة وإن كان أثناء العمل والعبادة وإن كان هناك رأي يقول بأنه

كالرياء من هذه الناحية أي يبطل العمل إذا كان مقروناً به أي واقعاً في داخله ولكنه يُفسد العبادة وينسفها على كل حال، أي لا يثاب المكلف عليها وإن لم يحاسب على تركها، فالعبادة التي يُعجب بها صاحبها غير باطلة حسب مشهور الفقهاء ولكنها فاسدة، وما كان فاسداً فلا يؤجر عليه صاحبه ولا ينبغي له أن يتوقع قبوله شرعاً.

من الذي يُفسد العبادة: -

ثم قد يتبادر سؤال إلى الذهن وهو: لماذا يقول الإمام (عليه السلام) في دعائه مخاطباً الله تعالى: «ولا تُفسد عبادتي بالعجب» فهل الله سبحانه هو الذي يُفسد عبادة الإنسان أم الإنسان نفسه هو الذي يفسدها باختياره؟

والجواب: إن معنى قول الإمام (عليه السلام) هو: لا تتركني اللهم ولا تدعني وشأني فتفسد عبادتي بالعجب، ومثاله من واقع الحياة الشخص النازل من جبل ذي منحدرات قوية فإنه يكون معرضاً للهوي، إلا إذا كانت هناك ممسكات ومقابض يمسك بها، فإن الشخص يطلب وجود هذه المقابض لئلا يزل ويسقط، ويقول لمن لا يريد سقوطه: لا تسقطني في الوادي، ومقصوده: لا تدعني أسقط، وهكذا الحال في نسبة الإفساد

والإضلال إلى الله تعالى، فإن العبد هو الذي يفسد ويضلّ إن لم يُرد الله له الصلاح والهداية ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(١)، ولذلك كان على الإنسان أن يلجّ على الله تعالى دائماً في أن يهيئ له أسباب الهداية وأن لا يدعه وشأنه وإلا فإنه هالك لا محالة.

ولكن ينبغي أن يُعلم أيضاً أن الله تعالى لا يفعل شيئاً عبثاً فهو لا يوفر أسباب النجاة والهداية والصلاح أو يمنعها عن أحد دون حكمة وسبب، ومن أسباب التفات الله للعبد الدعاء والعبادة.

إن الله تعالى يمتنع عليه العبث فهو الحكيم، بل الحكمة في ذات الله ومن ذات الله، والحكيم يضع الشيء في موضعه، والعقلاء يدركون ذلك ولا يتخطونه في حياتهم أو يحاولون أن لا يتخطّوه، فكيف بالله عز وجل وهو سيد الحكماء؟!

فإذا كنا ندرك ونحاول أن نتصرف بحكمة ونعطي كلاً ما يناسبه، أفنتوقع أن لا يعاملنا الله بالحكمة فيأخذ بيد من لا يستحق، ويتخلّى عن من يستحق العناية حاشاه؟!

يروى أنه يؤتى يوم القيامة بالرجل الحسن الذي قد افتتن بحسنه فيقول: يا ربّ حسّنت خلّقي حتى لقيت من النساء ما لقيت، فيؤتى بيوسف (عليه السلام) فيقال: أنت أحسن أو هذا، قد حسّناه فلم يفتتن؟

ويؤتى بصاحب البلاء الذي قد أصابه الفتنة في بلائه فيقول: يا رب شددت عليّ البلاء حتى افتتنت، فيؤتى بأيوب (عليه السلام) فيقال: أبلّيتك أشدّ أو بلية هذا، فقد ابتلي فلم يفتتن؟.

وهاتان الحالتان ليستا من باب الحصر بل هما مثالان فيهما خصوصية وإلاّ فإن الشيء نفسه يصدق على كل فرد تشغله مسألة ما عن العبادة سواء كانت مسألة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها.

والأمر بعد ذلك بحاجة إلى دعاء وتوسل إلى الله تعالى، كما هو بحاجة إلى عزم وتصميم وسعي وطرّد للشيطان ووساوسه وتثبيطاته.

ثم: إن ههنا مطلباً آخر وهو أنه قد يحصل أن يريد الإنسان قراءة دعاء ما كدعاء كميل رحمه الله في ليلة الجمعة مثلاً ويغالبه النعاس أو ذهنه مشغول بأمر ما، فيتردد: هل الترك أفضل أم قراءة الدعاء مع حال اشتغال الذهن واللهو عن التوجه بعمق إلى مضامين الدعاء؟

هذا سؤال وُجّه لكثير من الفقهاء فأجابوا: عدم الترك أفضل في كلّ حال، لأننا إذا قلنا بترك الدعاء في مثل هذه الحالة فإن النفس ستبحث عن الأعذار مهما كانت ضعيفة واهية، أما إذا عُوّدت على الدعاء فسيأتي التوجه أيضاً.

الخطبة السابعة

من

سبيل الزاكين

العجب

فإن العجب لا يفسد العبادة فقط بل يفسد كل شيء، فهو يفسد العلم والتقدم والصحة والأخلاق، فالعالم إذا كان عنده عجب بعلمه غفل عن نكات دقيقة لأنه يرى نفسه عالماً وتفوته نكات كثيرة كان سيلتفت إليها لو لا غروره وإعجابه بعلمه، وهكذا المعجب بصحته قد يصاب بأمراض يحسب نفسه بعيداً عنها، والشيء نفسه يصدق بالنسبة للمعجب بأخلاقه.

أما العجب في العبادة فيعني خسران كل شيء، لأن الدنيا كلها لا تساوي شيئاً من دون العبادة، فإذا فسدت العبادة فماذا يبقى للإنسان بعد ذلك؟

فقد ورد في الروايات أن الدنيا كلها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وهكذا يراها المؤمنون بالله عز وجل، من دون العبادة والقرب من الله تعالى، فكم سيعيش الإنسان في هذه الدنيا؟

حتى لو فرضنا أنه عاش مئات السنين بل آلاف السنين وأكثر يرفل بالصحة والعلم وغيرهما، فإنه سيرحل عنها إلى الآخرة، فإلى أين

سيولِّي وجهه في الآخرة إن لم تكن عنده عبادة أو كانت عبادته فاسدة بالعجب لا سمح الله.

ولهذا نرى التركيز على ضرر العجب في العبادة خاصّة على لسان الأدعية والروايات الشريفة.

فالعجب في العبادة أمر يردّه الإنسان ولا يرى له موجباً إذا إلتفت إلى نفسه أدنى إلتفاتة وتأمل قليلاً، فما هو الشيء الذي يعجب به العابد من عباداته؟

هل يعجب بصلاته وصومه وزكاته وصدقاته وكلها من الله تعالى؟! والصحة التي بسببها استطاع أن يعبدّه فهي منه أيضاً، وكذا العقل والفهم والشعور وما به عرف الله تعالى وأدرك وجوب طاعته وعبادته، وكلّ الوسائل التي مكّنته من أداء العبادة من الله تعالى. فالقدرة على أداء ألفاظ العبادة وحركاتها هي من الله تعالى، وهذا الالتفات والفهم الموجود عندنا من الله، وكذلك العلم والوسائل الأخرى كاليد والأعضاء التي بها نعبد الله هي منه تعالى أيضاً، فهل يحقّ لنا بعد ذلك أن نمنّ عليه في عبادتنا أو أن نعجب بها؟

هذه من جهة قصورنا وضعفنا وعجزنا، ناهيك إذا نظرنا إلى القضية من جهة عظمة الله تعالى ومقام ربوبيته التي لسنا بالغيها، وما نعبر عنها بمقدارنا نحن وبمستوى ألفاظنا وتصوراتنا.

إن الله تعالى هو الذي يمنحنا الأموال ثم يطلب منا إقراضه، ويعدنا بأنه سيضاعفه لنا أضعافاً كثيراً.

فإذا كان كل شيء من الله، أفلا يكون عجب المرء بعبادته لله تعالى إسفافاً وأمرأً مثيراً للعجب؟ إذا تأمل المرء قليلاً أدرك ذلك بسرعة، ولكنها الشهوات تحول بين المرء والتفاتة إلى هذه الحقائق، وقد يمر على الإنسان والعياذ بالله عشرات السنين وهو غافل غير ملتفت، ومن ثم فهو يحتاج إلى الدعاء، وتعليم الإمام عليه السلام له بأن يتوجه إلى الله تعالى بالقول: «وعبدي لك ولا تُفسد عبادتي بالعجب».

وأخيراً نستفيد من عبارة الإمام عليه السلام: «وعبدي لك ولا تفسد عبادتي بالعجب» ثلاثة أمور أو معانٍ. الأول: اجعلني مشغولاً بعبادتك، الثانية: تقبلها مني، والثالثة: اتخذني عبداً، أي أنني أعبدك في مستواي ولكن اعتبر عبادتي في مستواك.

عبادة الله فخر وشرف :-

إذا كان شخص عبداً أو خادماً لمرجع أو تاجر أو حاكم أو موظف كبير في الدولة تراه يفتخر على الآخرين لأنه قريب من مصدر القوة أو المال أو الوجاهة، فكيف إذا كان عبداً لله تعالى؟ لا شك أن مثل هذا الإنسان لا تهمّه الدنيا ولا يخشى شيئاً أبداً، وحقّ له ذلك.

جاء رجل للإمام الصادق عليه السلام وقال: إني أرى من هو شديد الحال مضيقاً عليه العيش وأرى نفسي في سعة من هذه الدنيا لا أمدّ يدي إلى شيء إلا رأيت فيه ما أحب، وقد أرى من هو أفضل منّي قد صرف ذلك عنه، فقد خشيت أن يكون ذلك استدراجاً من الله لي بخطيئتي، فقال الإمام عليه السلام: «أما مع الحمد فلا والله».

نسأل الله سبحانه وتعالى ببركة الإمام السجاد وأهل البيت عليهم السلام أن يوفقنا ويستجب لنا هذين الدعاءين أيضاً.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام، في فقرة أخرى من دعاء مكارم الأخلاق: «وأجر للناس على يديّ الخير، ولا تحقه بالمن».

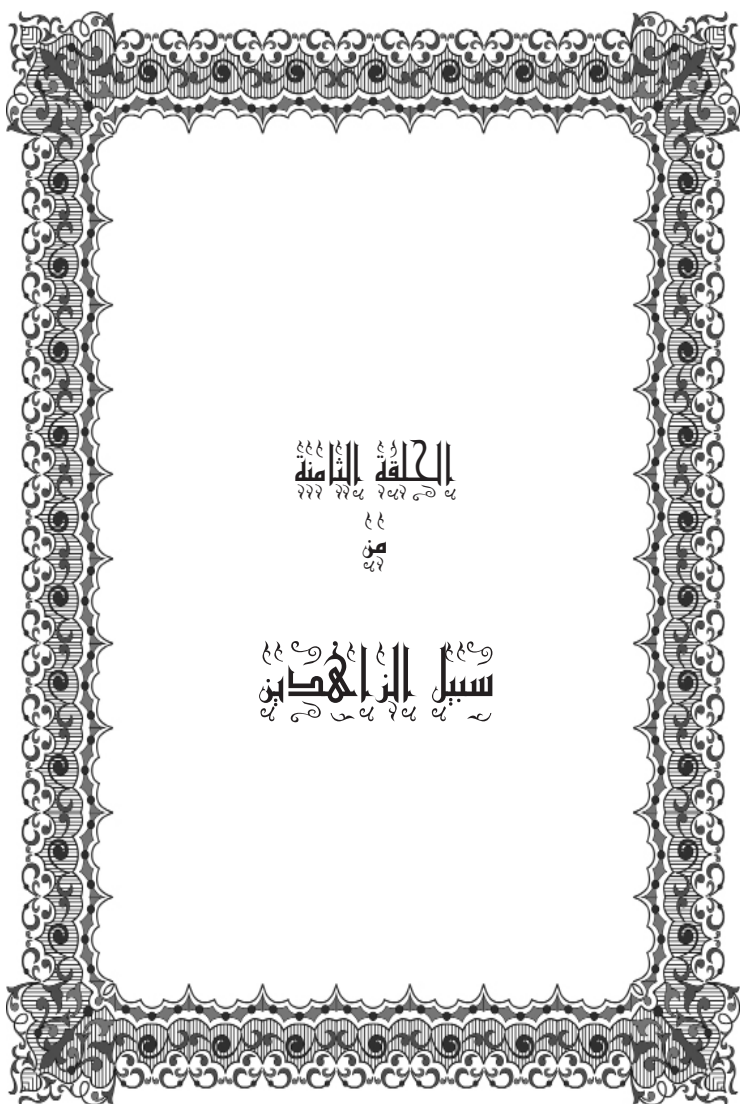
هاتان الجملتان وإن كانتا قصيرتين في اللفظ ولكنها طويلتان ومستمرتان على مدى حياة كل إنسان. نفّس الجملتين ابتداءً ثم نرى بعد ذلك ما الذي نستفيده من كلمات وأحاديث أهل البيت عليه السلام في هذا المجال.

يستفاد من كلمة «أجر» لغوياً ثلاثة مضامين من زوايا ثلاث:

- المفهوم أو المضمون الأول المستفاد من هذه الكلمة أن الإمام عليه السلام ينسب فعل الخير الذي يفعله الإنسان إلى الله تعالى، يفهم ذلك من صيغة الطلب «أجر»، وهذا معناه أن المباشر للخير هو آلة ووسيلة، أما الفاعل الحقيقي للخير فهو الله تعالى. غاية الأمر أن هذه الوسيلة مختارة وغير مجبرة على فعل الخير وتركه، إذ لولا الاختيار لبطل الثواب والعقاب.

- المفهوم الثاني يستفاد من مادة الفعل «أجر» أي «جَرَى»، فهذه المادة تفيد الدوام، لأنه كان يمكن أن يقول الإمام «أصدر مني الخير» ولكن ذلك اللفظ ما كان يحمل المعنى الذي تحمله كلمة «أجر» وهو طلب دوام صدور الخير، لأن الجري في اللغة يعني الانتقال والحركة من مكان لآخر متّصلاً كما في جريان الماء.

• أما المفهوم الثالث المستفاد من كلمة «أجر» فيمكن في مصدرها وهو الجريان ومن شواهد ذلك قول الله تعالى في وصف الحياة الآخرة بأنها هي الحيوان ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾^(١) أي الحياة المستمرة المتواصلة التي لا انقطاع لها. إن الله تعالى كثيراً ما ذكر الحياة الآخرة في القرآن الكريم ولكنه في هذه الآية أراد أن يؤكد صفة الحياة لها وأنها الحياة الحقيقية والدائمة المستمرة، فاستعمل صيغة فعلان «حيوان» - كما يستفاد منها - مضافاً إلى أدوات التوكيد الأخرى وهي «إن» و «الألف واللام» في «الدار» ولام التأكيد وضمير الشأن الدال على الحصر في «هي».



الحلقة الثامنة

من

سبيل

سبيل الزاكين

الخير للناس

يقول الإمام عليه السلام في دعائه «وَأَجِرْ للناس على يديّ الخير، ولا تمحقه بالمنّ».

بيننا في الحلقة السابقة معنى «أَجِرْ» وهنا نبدأ بالكلمة الثانية في الجملة الأولى من هذه الفقرة من الدعاء هي قول الإمام عليه السلام: «لِلنَّاسِ»، وهذا معناه أن الإمام يطلب من الله تعالى أن يجري على يديه الخير «لِلنَّاسِ» وليس للمؤمنين أو المسلمين وحدهم بل لكل الناس مؤمنين ومسلمين وغيرهم بل حتى لغير المؤمنين بدين أصلاً، هكذا يسأل الإمام الله تعالى، ونحن أيضاً اقتداءً وتأسيّاً بالإمام عليه السلام هكذا نسأل الله في دعائنا.

وهذه هي نظرة الإسلام إلى عباد الله تعالى، ففي الحديث الشريف: «الْجَيْرَانُ ثَلَاثَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ حَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الْجَوَارِ وَحَقُّ الْقَرَابَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقَّانِ حَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الْجَوَارِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ، الْكَافِرُ لَهُ حَقُّ الْجَوَارِ».

صحيح أنه ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾^(١)، ولكنه جعل له هذا الحق فهو ليس سبيلاً ولا سلطة. وهذه هي أخلاق الإسلام، مضافاً إلى ما تحمله هذه النظرة من جذب للإسلام. وكما أن الله سبحانه وتعالى يعطي النعم للمؤمن والكافر والمتدين وغير المتدين ومن كان يؤمن بالله أو ينكره، فكذلك الإمام (عليه السلام) يسأل الله تعالى أن يجري على يديه الخير لجميع الناس دون تمييز. فإن «الناس» اسم جمع لا مفرد له من لفظه، ودخول «ال» عليه يفيد العموم.

هكذا كان أهل البيت (عليهم السلام)، يجري الخير على أيديهم لجميع الناس، وقد روي أن الإمام الصادق (عليه السلام) كان يأخذ معه الخبز والتمر والحنطة في منتصف الليل يوزّعها على فقراء المدينة وهم نيام فيضعها تحت رؤوسهم فيقال له هؤلاء غير موالين لكم، فيقول (عليه السلام): «لو كانوا موالين لنا لو أسيناهم بالدقة».

على يدي أو على يدي: -

أن اليد - كما هو معلوم في كتب اللغة والبلاغة - قد ترد بمعنى هذا العضو الخاص وقد ترد في الكلمات البليغة والفصيحة للتعبير عن

القدرة والمكنة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١)، والمقصود قدرة الله تعالى وسلطته ومكنته - وكذلك فضله ونعمته - لأن الله تعالى ليس له يد كأيدينا لأنه ليس بجسم أصلاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

أما الفرق بين استعمال «يدي» أي الواحدة، و«يديّ» أي كلتاهما، فهو أن الأخيرة تفيد التوكيد أي كلّ القدرة أو كلّ العطاء، كما نقرأ في الدعاء: «يا باسط اليدين بالعطية» أي تعطي كلّ الفضل، وإلا فإن الله تعالى منزّه عن أن تكون له يد مادية فضلاً عن اثنتين! وإنما كان استعمال صيغة المثني «يديّ» كناية عن مطلق العطاء من مطلق القدرة! وهكذا في هذا الدعاء إذا قلنا «وأجر للناس على يدي الخير» فهو طلب صدور الخير منّا للناس على الدوام، أما قولنا: «وأجر للناس على يديّ الخير» فهو يعني طلب التوفيق لصدور الخير والإعطاء الدائم بكلّ الطاقة التي نتوفّر عليها، أي هو المبالغة في الإعطاء.

والخير بعد ذلك مطلق، ولما كان محليّ بالألف واللام فهو ظاهر في العموم أيضاً، فالخير ليس منحصراً بالمال والطعام والملبس والمسكن

وحلّ المشكلات والأمور المادية والمعنوية الأخرى بل كلّ ما هو خير في منطق الإسلام يسأل الإمام الله تعالى أن يجريه على يديه للناس.

المنّ يمحّ عمل الخير: -

ثم إن الإمام عليه السلام بعد ذلك يقول: إلهي أنت إذ وفقّني وأجريت للناس على يدي الخير، ف «لا تمحقه بالمن» أي احفظني من الشيطان ولا تكلني إلى نفسي فإنني لا أستطيع النجاح مستقلاً عنك، وقد تحدّثنا في الحلقات السابقة لماذا نسب الإمام آفات الفضائل إلى الله تعالى فقال: «ولا تُفسد عبادتي بالعجب» ويقول هنا: «ولا تمحقه بالمن».

أما المحقّ فهو البطالان أو أقلّ منه بدرجة لأنّ المحقّ يستعمل في مثل الهلكة والتلف أيضاً. وقد ورد استعمال البطالان في القرآن أكثر، مثل قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(١)، أما المحقّ فقد ورد قليلاً ومنه قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَيَمْحَقُ الْكَافِرِينَ﴾^(٣)، وهنا أيضاً قال الإمام عليه السلام في

(١) البقرة ٢٦٤

(٢) البقرة ٢٧٦

(٣) آل عمران ١٤١

دعائه: «ولا تحقه بالمن» لأن المنّة تتلف عمل الخير وتفنيه كما جاء في الرواية :

دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ الْجَوَادِ (عليه السلام) وَهُوَ مُسْرُورٌ. فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكَ مُسْرُورًا؟» قَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ سَمِعْتُ أَبَاكَ يَقُولُ: أَحَقُّ يَوْمٍ بَأَنْ يُسَرَ الْعَبْدُ فِيهِ يَوْمٌ يَرْزُقُهُ اللَّهُ صَدَقَاتٍ وَمَبْرَاتٍ وَسَدَّ خَلَائِ مِنْ إِخْوَانٍ لَهُ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهُ قَصَدَنِي الْيَوْمَ عَشْرَةٌ مِنْ إِخْوَانِي الْمُؤْمِنِينَ الْفُقَرَاءِ هُمْ عِيَالَاتٌ فَقَصَدُونِي مِنْ بَلَدٍ كَذَا وَكَذَا فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَلِهَذَا سُرُورِي.

فَقَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ (عليه السلام): «لَعَمْرِي إِنَّكَ حَقِيقٌ بِأَنْ تُسَرَ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَحْبَبْتَهُ أَوْ لَمْ تُحِبِّطْهُ فِيمَا بَعْدُ». قَالَ الرَّجُلُ: وَكَيْفَ أَحْبَبْتَهُ وَأَنَا مِنْ شِيعَتِكَمُ الْخُلَاصِ؟

قَالَ (عليه السلام): «هَاهُ قَدْ أَبْطَلْتَ بِرِّكَ بِإِخْوَانِكَ وَصَدَقَاتِكَ»، قَالَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ (عليه السلام): «اقْرَأْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى»، قَالَ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا مَنَنْتُ عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ تَصَدَّقْتُ عَلَيْهِمْ وَلَا آذَيْتُهُمْ،

قَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى، وَلَمْ يَقُلْ لَا تُبْطِلُوا بِالْمَنِّ عَلَى مَنْ تَتَصَدَّقُونَ عَلَيْهِ وَبِالْأَذَى لِمَنْ تَتَصَدَّقُونَ عَلَيْهِ وَهُوَ كُلُّ أَذَى».

يستفاد من هذا الحديث أنه إذا ذُكر المتفضل على أحدٍ فضله حتى في غيابه عُدَّ ذلك من مصاديق المنّة، فالمستفاد من الحديث المتقدم أن الشخص إذا صنع خيراً لأحد ثم ذكره في مجلس، فإن الخبر سيصل إليه عاجلاً أو آجلاً فيتأذى، ولم يقيّد الأذى أن يكون مباشراً كما لو يقول المانّ: أنا الذي أعطيتك المال ولم يكن عندك، أو أن يكون بصورة غير مباشرة كالإيحاء مثلاً، وهذا امتحان صعب جداً يتطلب الاستعانة بالله تعالى حتى يجتازه المرء بنجاح.

الحلقة التاسعة

من

سبيل الزاكين

معالي الأخلاق

واحذر مساوئ أخلاق تُشأنُ بها وأسوأ السوء سوء الخلق والبخلِ

وقال شاعرٌ آخر:

وكم من فتى أزرى به سوء خُلُقهِ فأصبح مذموماً قليل المحامدِ

يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام) في فقرة أخرى من دعاء مكارم الأخلاق: «وهب لي معالي الأخلاق واعصمني من الفخر».

لا شك أن لمعالي الأخلاق والعصمة من الفخر مراتب، وهذا يعني أن سؤال الإمام المعصوم من الله تعالى أن يهبه معالي الأخلاق لا ينافي العصمة، كما لا شك في أن كل ما لدى المعصوم (عليه السلام) حتى العصمة هو من الله سبحانه وتعالى وليس ذاتياً له بل هبة ومنحة إلهية أيضاً.

ومن ثم فإن الإمام ليس بصدد تعليمنا الدعاء فحسب بل هو يتوجه إلى الله أيضاً بهذا الدعاء ويسأله أن يهبه معالي الأخلاق، غايته أن الإمام (عليه السلام) يسأل المراتب العليا من معالي الأخلاق والعصمة من الفخر.

صحيح أن مراتب الإمام في معالي الأخلاق عالية جداً جداً، ولكن

الصحيح أيضاً أن ذلك لا ينافي أن الأئمة يطلبون المزيد والمراتب الأكثر علواً أيضاً، نقف الآن وقفات سريعة مع كلمات هذه الفقرة من الدعاء «هب لي معالي الأخلاق واعصمني من الفخر»، فنقول:

«هب» من الهبة وهي غير العطاء، وقد وردت مادة الهبة واشتقاقاتها في القرآن كثيراً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾^(١)، وقوله سبحانه ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٢) فما هو معنى الهبة؟

يقول الفقهاء: «الهبة عقد فائدته تمليك عين بلا عوض». فقولهم «عقد» يعني أنها ليست إيقاعاً، والفرق بين العقد والإيقاع أن الأول لا يتقوم إلا بطرفين، إيجاب وقبول. فالواهب يقول: وهبت، والذي تنتقل إليه الهبة يقول: قبلت، خلافاً للإيقاع فإنه لا يُشترط فيه القبول، وخرج بقولهم: «بلا عوض» مثل البيع فإنه تمليك بعوض، وهذا القيد إنما يُذكر على نحو الاقتضاء وليس على نحو العلية التامة، فلو قال الواهب: وهبتك كذا، وسكت دون أن يضيف عبارة: بلا عوض، فلا يقدح ذلك في العقد، لأن مقتضى الهبة أن يكون بلا عوض، وإلا لم يكن هبة.

(١) مريم/ ٥

(٢) الفرقان/ ٧٤

فذكر هذا القيد في التعريف إذن إنما هو على نحو الاقتضاء، أي أن الهبة بطبيعتها تقتضي أن تكون بلا عوض.

فإذا كان هذا معنى الهبة وإليه ذهب معظم الفقهاء فإن الإمام (عليه السلام) يطلب من الله أن يهبه معالي الأخلاق وليس يعطيها له فقط، لأن الإعطاء أهم من التملك، فإن الإمام (عليه السلام) عندما يقول «هب لي» فمعناه «ملّكني» يا ربّ معالي الأخلاق واجعلها ملكاً وملكة لي.

يقال: إن مَلِكاً قال لأحد رعيّته وكان زاهداً مبتعداً عنه: لماذا لا تأتيني وأنت عبدي؟ عجب الزاهد وقال: كيف أصبحت عبداً لك؟ قال الملك: ألسنت من رعاياي. قال الزاهد: وكيف أكون عبداً لك وأنت عبد عبدي؟ قال الملك مستغرباً غاضباً: وكيف ذلك؟ قال: أنت عبد الهوى وأنا سيد الهوى، فأنت عبد لعبدي!

إذن يكون معنى «هب لي معالي الأخلاق»: «ملّكني إياها» أي اجعلني أملكها، لا أن تكون عارية عندي، فتكون عندي مدة الغنى مثلاً فإذا صرت فقيراً زالت، أو تكون عندي زمن الراحة أو الصحة فإذا ضقت أو مرضت زالت، كلا، بل اجعل اللهم معالي الأخلاق

مملوكة لي.

انظر إلى مستوى دعاء الإمام عليه السلام، وهذا ما ندركه نحن على قصر فهمنا، أما ما يقصده الإمام المعصوم وهو في مقام الطلب من الله تعالى فلا شك في أنه أعمق كثيراً مما يدركه أمثالنا.

قلنا إن الهبة تعني التملك بلا عوض، وهذا هو الحق في كل ما نطلب من الله وما يتفضل به سبحانه علينا، وإلا فما عسى أن يكون العوض الذي يقدمه العبد لله تعالى؟.

صحيح أن المعصومين إستثناء في الخلق بلا إشكال وبمتواتر الأدلة، ولكنهم في الوقت نفسه عبيد لله تعالى، يقول الإمام المعصوم أمير المؤمنين عليه السلام: «كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً» فكل ما عندنا وكذلك ما عند المعصومين عليهم السلام إنما هو من الله، فما هو العوض الذي يمكن لأحد حتى من المعصومين أن يقدمه لله لقاء هباته وعطاياه؟ هل هي العبادة وهي بدورها من نعم الله سبحانه وأفضاله.

إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو سيد الأولين والآخرين، وهو أشرف المخلوقات، فلم يخلق الله تعالى مثل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بل عزم على أن لا يخلق من

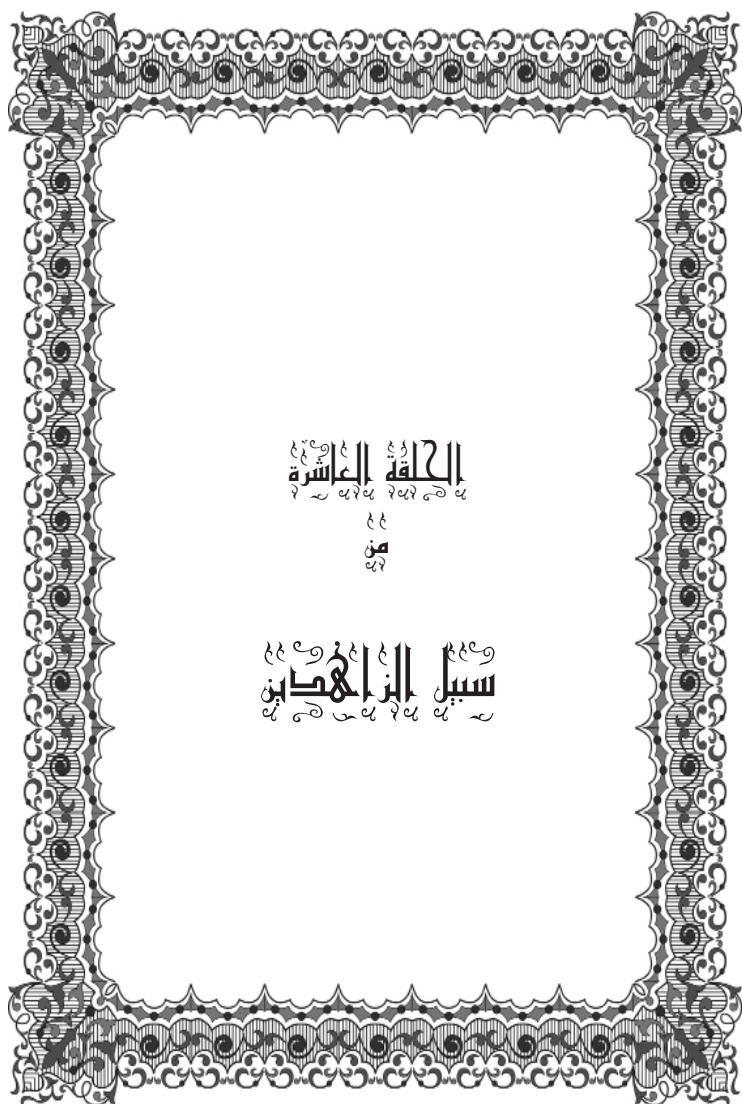
يضاهيه في الفضل، ومع ذلك ورد في حديث شريف أنه ﷺ يدخل الجنة بفضل الله لا باستحقاقه هو، وإذا كان الأمر كذلك فكُلّ عطايا الله تعالى للنبي ﷺ هبات لا عوض لها.

وهكذا الحال بالنسبة للإمام السجاد عليه السلام فهو معصوم وهو قَمّة في كلّ مخلوقات الله عزّ وجلّ، ولكن مع ذلك ما هو الشيء الذي يمكن أن يعوّض به الله تعالى؟ إذا قام بالعبادة فبفضل الله ونعمته. صحيح أنه لا يمكن مقارنة المعصوم عليه السلام بنا ولكنهم عباد الله سبحانه وتعالى وعبيده!

إن الهبة والعطية بمعنى واحد في الخط العام ولكن تختلف عنها في أن العطية يمكن أن تعطي لكل أحد أما الهبة فبمقتضى لزوم القبول قد ينتزع منها معنى قابلية التملك، ولذلك نحن لا نهب الماء للقطّة العطشى بل نعطيه لها، وهكذا الطعام الذي نقدمه للطير مثلاً، ذلك أن الهبة بحاجة إلى قبول وهو بحاجة إلى عقل، وهذا لا يكون إلا في الإنسان.

ومن ثم يكون معنى قول الإمام عليه السلام: «هب لي معالي الأخلاق»: إلهي اجعلني قابلاً لقبول هبتك حتى تتحقق الهبة، وهذا لا يعني أن

الإنسان لا ينبغي له أن يسعى في هذا المجال بل يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْ
لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(١)، ولكن المقصود أن سعي الإنسان غير
كافٍ ما لم يحالفه التوفيق من الله تعالى.



الحلقة العاشرة

من

سبيل الزاكين

الفرق بين معالي الأخلاق ومحاسن الأخلاق

بعد أن عرفنا معنى الهبة وأنها تمليك بلا عوض في الحلقة السابقة، نسأل ما هو الشيء الذي يدعو الإمام ربّه أن يملكه إياه؟ هل هو المال أو البيت؟ أو الزوجة والأولاد؟ أم الرئاسة؟.

الجواب إن الإمام يسأل الله تعالى أن يهبه معالي الأخلاق، فما هو المقصود بهاتين الكلمتين؟ لنقف عندهما قليلاً لمعرفة معناهما اللغوي أولاً، ونبدأ بكلمة «معالي».

«المعالي» بمعنى العلو، وقد ألحقت به كلّ هذه الإضافات والتحويلات للمبالغة والتوكيد. فالعلو معلوم ثم جاءت بصيغة الجمع «معالي» زيادة في التوكيد، على أن استعمال المصدر بنفسه يفيد التوكيد كما هو معروف في كتب اللغة المفصلة. فالخلق يوصف بأنه عالٍ، فإن قيل «علو» فذلك مبالغة وتأكيداً، أي أن الإمام يطلب من الله الأخلاق بأعلى مراتبها، وهناك توكيد استعمله الإمام (عليه السلام)، وهو صيغة الجمع المضاف لأنه كما يقال ظاهر في العموم، أي كلّ معالي الأخلاق.

وهناك تأكيد آخر وهو الفرق الموجود بين كلمتي معالي الأخلاق

ومحاسن الأخلاق، فالمفهوم الموجود في كلمة معالي الأخلاق غير موجود في محاسن الأخلاق، ولذلك ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» أي معالي الأخلاق، وذلك لأن الخلق قد يكون سيئاً وقد يكون حسناً، فالجبن مثلاً خلق سيئ والشجاعة خلق حسن، والبخل خلق سيئ والكرم خلق حسن، والجزع خلق سيئ والصبر خلق حسن، وهكذا.

لكن الملفت للنظر هو أن الأخلاق الحسنة تتعلق بأفعال، فالكرم مثلاً هو ندى الكف أي هو عطاء ممن عنده مال، وهكذا بالنسبة لبقية الأخلاق الحسنة، أما مكارم الأخلاق فهي أبعد من ذلك لأنها تعود للنفس وتربيتها وتحميلها على ملازمة الخلق الحسن، فإن النفس التي لا تتحلّى بمكارم الأخلاق قد لا تلتزم بالخلق الحسن إذا لم يوافق شهواتها وغرائزها، لأن الخلق الحسن ينسجم مع طبيعة صاحبه أي يوافق غرائزه وشهواته عادة، أما مكارم الأخلاق فتعني الالتزام بتلك الخصال حتى عندما لا تتوافق مع الشهوات والغرائز، بل هي غالباً ما تخالفها، وخير مثال يوضح ذلك البشاشة وعدم العبوس، فربّ شخص امتاز بهذا الخلق أي كان هذا طبعه وعادته، ربما لأن الإنسان يحب أن يكون محبوباً ومدوحاً في المجتمع، وهذا لا يتحقق إذا كان عبوساً فهو يتحلّى

بهذه الخصلة لكي يحقّق رغبة من رغباته وهي المحبوبة، وهكذا الحال بالنسبة للشجاعة وغيرها.

أما مكارم الأخلاق فتقول للفرد مثلاً: سلّم على من سبّك، وهذا أمر صعب لأنه لا يوافق رغبة الفرد وشهوته، ولذلك قد لا تجد بين كلّ ألف صائم ومصلّ وحاجّ من هو كذلك، وهذا يعني أن مكارم الأخلاق تعني تحلّي النفس بالخصال الحسنة حتى إن كانت منافية لإرادتها ومضادة لطبيعتها.

والإمام عليه السلام يطلب في هذا الدعاء من الله أن يمنحه معالي الأخلاق أي مكارم الأخلاق، ولذلك سمّي هذا الدعاء أيضاً بمكارم الأخلاق وليس محاسن الأخلاق.

وآخر تأكيد يتبادر للذهن هو أن الإمام عليه السلام قدّم كلمة المعالي فقال: «معالي الأخلاق»، ولم يقل: الأخلاق العالية، أي قدّم الوصف، على الموصوف وهذا تأكيد آخر. وخير شاهد على ذلك فاطمة الزهراء عليها السلام.

لقد امتازت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بمزايا اختصت بها دون

غيرها من البشر، وهذا لا يعني أفضليتها على أبيها وبعلمها، لأن الإختصاص بشيء هو غير الأفضلية، فمما لا شك فيه أن أباه رسول الله ﷺ أفضل منها، وبعلمها أمير المؤمنين (عليه السلام) إمامها، وتأتي هي صلوات الله عليها في المرتبة الثالثة من بين ما خلق الله تعالى.

ولكن للزهراء (عليها السلام) اختصاصات كما للرسول ﷺ إختصاصات ولأمر المؤمنين (عليه السلام) إختصاصات. فمما اختص به الرسول ﷺ دون غيره هو ذكره والسلام عليه في الصلاة عند التشهد - وقبل نهاية الصلاة بالسلام - حيث نقول: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» مع أن الصلاة لله - وكما نقرأ في الدعاء: «لأن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لك» - ولذلك عُدَّ كل حديث في الصلاة مع غير الله تعالى مبطلاً للصلاة، ومن ثم فالصلاة كما قالوا: قرآن وذكر ودعاء، أي هي كلام الله وذكره تعالى والطلب منه.

الإستثناء الوحيد الموجود في الصلاة هو جواز مخاطبة الرسول ﷺ والتكلم معه، وهذا من إختصاصات رسول الله ﷺ، ولأمر المؤمنين (عليه السلام) إختصاصات لسنا بصدها الآن، إنما نريد أن نذكر بعض إختصاصات الزهراء (عليها السلام) ومنها ما يستفاد من كلمات الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه

بإستشهادها انحرف المسلمون وبإستشهادها أيضاً استقام الإسلام، وقبل بيان هذه النقطة نذكر لكم الحديث المروي عن النبي ﷺ: «يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت، ولا عرفني إلا الله وأنت، ولا عرفك إلا الله وأنا» كما إن فاطمة ؑ مشمولة أيضاً بمفهوم هذا الحديث، فهي موجودة بالحصص الإضافي، أي المنفصل وإن لم تذكر بالحصص المتصل، وهذا النوع من الحصص غير عزيز في القرآن والروايات والأحكام الشرعية، ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾^(١)، فهل هذا ينفي وجود أطعمة محرمة أخرى؟ كلا بالطبع، لأنها ذكرت في مواضع أخرى، وهذا ما يسمى بالحصص الإضافي وهو أسلوب يراد منه لفتة بلاغية ما، يمكن ان نستفيد من مجمل كلمات أمير المؤمنين ؑ أن فاطمة الزهراء ؑ مشمولة بهذا الحديث وإن لم يُصرح بإسمها فيه.

فقد روي أن رسول الله ﷺ قال لعلي ؑ في عدة موارد وهو إمام فاطمة ؑ: «انفذ لما أمرتك به فاطمة» أو لا يعني هذا أن فاطمة ليست بخارجة عن مستوى حديث رسول الله ﷺ «يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت».

إذن فاطمة الزهراء (عليها السلام) هي مع النبي (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المستوى من معرفة الله عزّ وجلّ، وإن كان النبي أفضلهم، لأن أمير المؤمنين هو من أتباع النبي ومن المسلمين له والمؤمنين به، وهو بدوره أفضل من فاطمة (عليها السلام) لأنه إمامها، ولكن ذلك لا يمنع أن يكونوا جميعاً في هذا المستوى من معرفة الله تعالى، ومن ثم فإن أطراف الحديث المتقدم يكونون أربعة حسب الأدلة المذكورة - وطرفه الرابع فاطمة الزهراء (عليها السلام).

الحلقة الحادية عشرة
من

سبيل الزاكين

من خصائص سيدتنا الزهراء عليها السلام

أما بشأن ما اختصت به الزهراء عليها السلام فنذكر كلمات عن الإمام علي عليه السلام موجودة في نهج البلاغة والكافي ومصادر أخرى لقد قال الإمام عليه السلام عند استشهاد فاطمة عليها السلام: «أما حزني فسرمد وأما ليلى فمسهد» وهذا الوصف من الحزن لم نجده عند الإمام بحق أي أحد حتى عند فقده رسول الله ﷺ وهو أشرف الأولين والآخرين، وهذه خطب الإمام وكلماته في نهج البلاغة وغيره.

السرمد في اللغة: الذي لا ينتهي، ولا شك أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما رأى عظم الانحراف الذي حصل بعد شهادة الزهراء عليها السلام والحكومات التي ستحكم باسم الإسلام، أطلق هذه الكلمة، لقد وضع استشهاد الزهراء عليها السلام نهاية لحقبة لو كان حكم فيها علي عليه السلام لأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم! لقد خسر الناس عدل علي عليه السلام وعقله وإيمانه!

أما المسهد فهو الذي لا يقدر على النوم ليلاً، ولكن الفرق بين السهاد والأرق أن الثاني يكون بسبب شيء يشغل البال، أما المسهد فهو

الذي لا ينام بسبب الألم الشديد والمرارة، وهذا يعني أن الإمام (عليه السلام) عاش بعد الزهراء (عليها السلام) حياة مرّة جداً لم يهنأ خلالها بنوم! وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على مقام فاطمة الزهراء (عليها السلام).

ولكن إستهزاء الزهراء (عليها السلام) صار سبباً لاستقامة الإسلام أيضاً، فإن صلاتنا وصيامنا وعباداتنا وديننا اليوم رهينة إستهزاء الزهراء (عليها السلام)، ولقد أوضح لها أمير المؤمنين (عليه السلام) أنها إذا كنت تريد أن يبقى دين أبيها فعلها بالصبر. لقد كانت فاطمة (عليها السلام) عالمة بأن القوم سيقتلونهم، ولكنها ضحّت بنفسها عندما جاءت ووقفت خلف الباب!

ولولا إستهزاء فاطمة (عليها السلام) لذهبت كل متاع أبيها (عليها السلام) ولما بقي له اسم كما حصل مع كثير من أنبياء الله.

فمن فاطمة (عليها السلام) نتعلّم أيضاً معالي الأخلاق، ونسأل الله سبحانه وتعالى بركة أهل البيت، ببركة فاطمة الزهراء وأبيها وبعلمها وبنيتها صلوات الله عليهم أجمعين أن يوفّقنا لذلك.

ومن كلام الإمام زين العابدين (عليه السلام) في دعاء مكارم الأخلاق: «اللهم صلّ على محمد وآله، واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني

فيما تسألني غداً عنه».

فبعد أن طلب الإمام من الله تعالى أن يكفيه ما يشغله الاهتمام به، توجه إليه بالسؤال مباشرة أن يعينه لكي يصرف الوقت الذي حصل له بسبب ذلك في الأمور التي سيُسأل عنها يوم القيامة.

وإذا ما عرفنا أن الدعاء وحده لا يكفي بل لابد للإنسان من السعي نحو ما يدعو ويسأل من الله ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(١)، كما أن السعي من دون الدعاء لا ينفع ﴿قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٢)، إذا عرفنا ذلك تبين لنا أن علينا التفكير والسعي - إلى جانب الدعاء - دائماً لأن نصرف أعمارنا في ما خلقنا الله تعالى من أجله وما هو سائلنا غداً عنه.

عم نُسأل يوم القيامة؟

ومعلوم ما هي المسائل التي يجب أن نعتني بها والتي سنُسأل عنها غداً. فلن نُسأل غداً لماذا لم تأكل غداءك حاراً؟ أو لماذا لم يكن معه المشهيات والمطعمات؟ ولماذا لم تأكل الأطيب وتلبس الأنعم وتركب

(١) النجم/ ٣٩

(٢) الفرقان/ ٧٧

الأسرع وتختار ما هو أغلى للعيش وأحلى؟ ففي الأدلة الشرعية لم يرد أنا سنسأل يوم القيامة أسئلة من هذا القبيل.

يقول الإمام عليه السلام في دعائه: «اللهم استعملني فيما تسألني غداً عنه» أي وفقني لأن أفرغ للأعمال التي ستسألني عنها غداً.

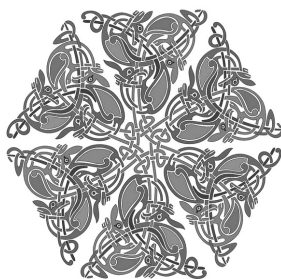
ويبدأ الغد عند كل إنسان من ساعة موته ويستمر حتى الآخرة والدار التي يقول الله تعالى عنها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

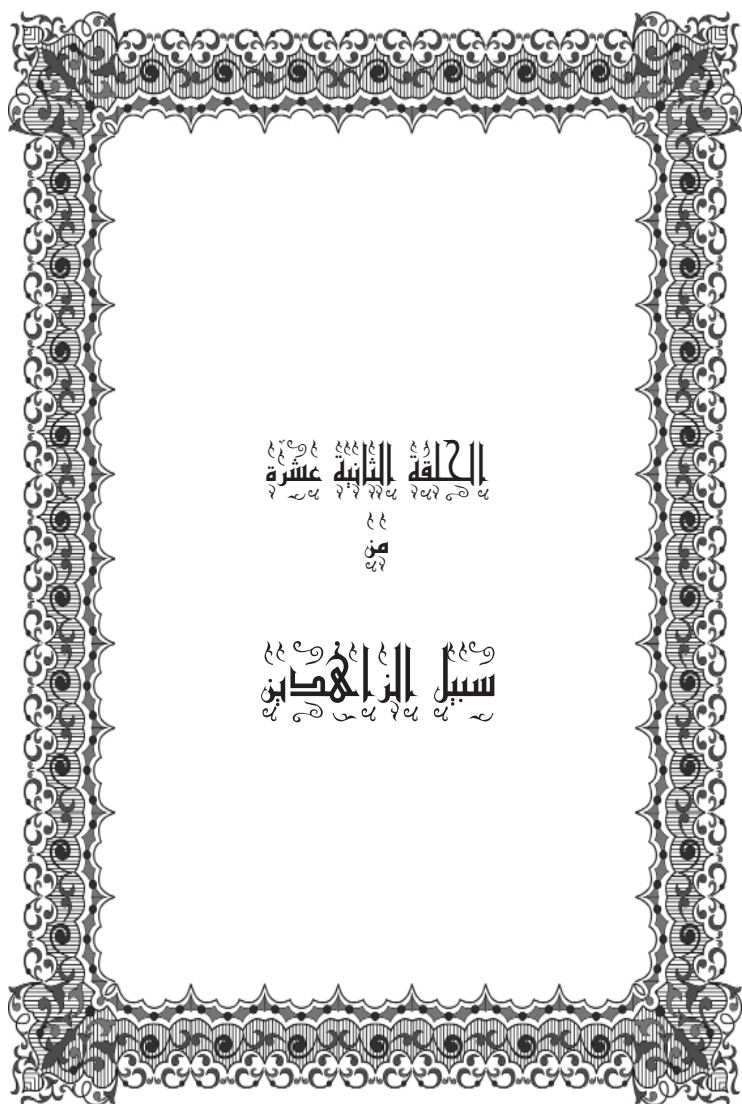
هناك حديث عن الإمام الرضا عليه السلام يقول فيه: «لو وجدتُ شاباً من شبّان الشيعة لا يتفقّه في دينه لضربتّه».

والفقه في تعابير أهل البيت عليهم السلام أوسع وأشمل من المعنى الإصطلاحي المعاصر للفقه، لأنه في الإصطلاح الأخير هو العلم الذي يعنى بالأحكام الفرعية والعملية، أما في إصطلاح الروايات فيقصد به تعلّم الإسلام الذي تمثل الأحكام العملية جزءاً منه.

كما أنّ قول الإمام «لضربته» تعبير كنائي، وإلا فلم يعهد أن الإمام الرضا أو أحداً من الأئمة عليهم السلام ضرب أحداً لذلك، وإنما استخدم

الإمام عليه السلام هذا التعبير كناية عن أهمية هذا الأمر وأنه مما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، أما ما نُسأل عنه يوم القيامة فهي من الأسئلة التي تتبادر في أذهان كل من تأمل وتفكر بأن هناك أموراً كثيرة سنُسأل غداً عنها.





الحلقة الثانية عشرة

من

سبيل الزاكين

سيرة النبي ﷺ مما يُسأل العبد عنه يوم القيامة

ومن التفقه ومما يسأل عنه العبد المسلم يوم القيامة معرفة سيرة الرسول الكريم ﷺ والإقتداء به والعمل وفق سيرته، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١).

ومن الواجبات على المسلم أيضاً الدفاع عن سيرة رسول الله ﷺ. فما أكثر المتطاولين على قداسته ﷺ والمفترين الأكاذيب بحقه.

إن معرفة سيرة رسول الله ﷺ وتاريخ حياته وسنته هي من أهم ما تُسأل عنه يوم القيامة، لأن الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فكيف يتسنى للمرء أن يقتدي ويتأسى بالرسول ﷺ وهو لا يعرف سيرته وسنته، وكيف كان يتعامل مع أصحابه وكيف واجه أعداءه، وكيف تصرف مع المنافقين، وما كانت معاملته مع زوجاته؟ وهكذا في سائر المعاملات، ومنها علاقته مع الله تعالى وكيف كان يعبد؟ وهكذا أكله وشربه ونومه ويقظته وصلاته وصيامه.

لاشك أن ما وصلنا من تاريخ رسول الله ﷺ وسيرته قليل جداً،

وما لم يصلنا أكثر بكثير، بيد أننا ينبغي لنا أن نصمم على الاقتداء به ﷺ في كل ما وصلنا منها قلّ قياساً بما لم يصلنا.

لقد كان الرسول ﷺ قمة في الأخلاق حتى أن الله تعالى مدحه بنفسه وقال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) فكيف يُتهم بما يندى له الجبين؟!

يصرّح القرآن الكريم في مورد واحد قد يكون استثنائياً بخيار ضرب المرأة - ونحن لسنا بصدد تفاصيل هذا الموضوع - ولكن لم يُسمع أن النبي ﷺ صدر منه هذا الفعل بحق أي من زوجاته التسع مع أنه كان فيهن من هي من خيرة النساء بل الناس جميعاً كخديجة رضوان الله عليها.

وكانت فيهن من هن أشّر النساء، على ما صرّح به القرآن الكريم في آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ فهما مالتا عن النبي ﷺ ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ أي تشدّ إحداكما ظهرها بالثانية وتتآزران ضده ﷺ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿١﴾.

ومع كل ذلك لم يُنقل أن رسول الله ﷺ استعمل الضرب مع أي من زوجاته ولا مرة واحدة.

ومما روي عن سيرة النبي ﷺ في التاريخ: أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ بولدها كي ينهائه عن أكل التمر فأوكلهاء ﷺ إلى الغد، ثم نهاه غداً! وعندما سأله المرأة عن السبب بين لها ﷺ أنه كان قد تناول التمر يوم أمس فما أحب أن ينهى أحداً عن شيء هو أتى به، هذا مع العلم أن رسول الله ﷺ عندما أكل التمر كان في مصلحته خلافاً لولدها.

سر عظمة النبي ﷺ كما يراها كاتب مسيحي ألف كتاباً يتحدث عن أفضل مئة شخصية في العالم وقد أحصاها وبدأها بالأفضل فالأفضل.

الملفت للانتباه أنه أورد اسم السيد المسيح ﷺ في التسلسل بعد رسول الله ﷺ، وعندما سئل عن السبب مع كونه رجلاً مسيحياً قال:

أنا لم أرتب التسلسل حسب عقيدتي بل حسب قناعتي بأهمية

الأشخاص وإني أرى أن محمداً ﷺ أعظم من السيد المسيح عليه السلام لسببين:

الأول: أن محمداً ﷺ وُفق لتطبيق دينه في حياته، في حين لم يوفق السيد المسيح لذلك «فهم يعتقدون أنه قُتل كما أشار القرآن الكريم إلى اعتقادهم ونفاه».

أما السبب الثاني: فهو أن محمداً ﷺ نفخ في أتباعه روحاً امتدت عبر القرون المتعاقبة كلما ضعف الإسلام في الدنيا كان هناك أشخاص من أتباعه ممن اتصلوا بتلك الروح العظيمة يقومون بتجديد الإسلام.

ولعل هذا يتطابق مع ما هو موجود في الأحاديث النبوية من أنه «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَحْمِلُ هَذَا الدِّينَ فِي كُلِّ قَرْنٍ عُدُولٌ يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْمُبْطِلِينَ وَتُحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْجَاهِلِينَ كَمَا يَنْفِي الْكِرُّ حَبَثَ الْحَدِيدِ».

وهذه الروح ينبغي أن تكون اليوم فينا نحن، وهذا معنى التأسي الحق برسول الله ﷺ، ولا ينبغي للمتأسي برسول الله ﷺ أن يتصرف كما يحلو له وكما تمل عليه شهواته أو كما توجهه بيئته فيميل يميناً ويساراً، ولا أن يتدع سلوكاً ما من عنده، بل عليه أن يطبق سنة رسول الله ﷺ.

ثم يقول الإمام عليه السلام «اللهم صلّ على محمد وآل محمد، ومتّعني بهديّ صالح».

الهدى الصالح :-

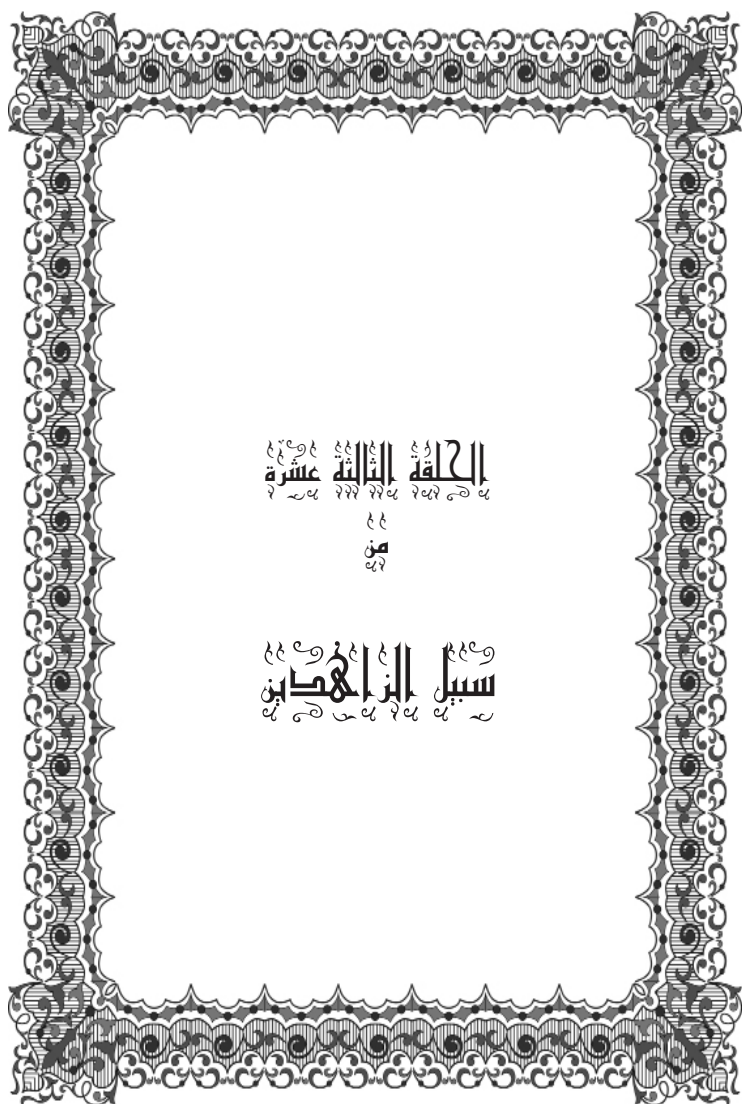
الهدى في اللغة يُذكر ويؤنث فتقول هدىّ صالح وهديّ صالحة، وورد بالصيغتين في فصيح الكلام، وربما جاء هنا مذكراً مراعاة لنكتة أدبية كما لو يكون مراعاة للنسق الذي يقتضيه الترتيب.

أما قوله عليه السلام «صالح» فهو:

إما باعتبار أن للهداية مراتب، فيكون المراد من «الهدى الصالح»: تلك المرتبة من الهداية التي تكون صالحة للداعي، أو المرتبة التي يستحقّها، لأنه لا شك أن للبشر حتى المؤمنين منهم بل الأخيار والأبرار مراتب من الهداية، وكلّ مرتبة يبلغها الفرد فهي المرتبة الصالحة له، ولكن لا يصحّ للإنسان أن يقتصر على المرتبة الدنيا من الهداية، بل عليه أن يسعى لأن يجعله الله تعالى أهلاً لبلوغ مراتبها العليا، ومن لا يكون مستحقّاً لها، فإن الله سبحانه وتعالى لا يمنحها إيّاه تكوينياً، لأنه غير صالح لها، فلا تصلح له، ومن ثم لا يستطيع الصعود أعلى من

المرتبة التي هو عليها.

وإما أن يكون «صالح» وصفاً توضيحياً أو تفسيرياً لـ «هدى»، أو
احترازياً - حسب الإصطلاح العلمي -.



الحلقة الثالثة عشرة
من

سبيل الزاكين

الاستبدال

ما زال الحديث حول شرح درر من كلام أهل البيت عليهم السلام ووصلنا في هذه الحلقة في شرح دعاء مكارم الاخلاق إلى قول الإمام زين العابدين عليه السلام

«اللهم صلّ على محمد وآل محمد، ومتّعني بهدىّ صالح لا أستبدل به، وطريقة حقّ لا أزيع عنها، ونيةً رشد لا أشكّ فيها».

الاستبدال :-

أما قوله عليه السلام «لا أستبدل به» فهو صفة ثانية لـ «هدى»، ومعناه: اللهم وهذا الهدى الصالح الذي سألتك أن تتمّعني به، فاجعله مستمراً دائماً معي، وليس كالوديعة التي تبقى عند الإنسان مدةً من الزمن ثم تُستردّ بعد ذلك. فلا يكفي أن يتمتّع الإنسان بالهدى والصالح في كلّ آن من آنات حياته ووجوده على هذه الأرض، بل لابدّ أن تختتم حياته وهو كذلك وأن لا يستبدل بالهدى الضلالة.

إنّهم الشيطان وجهده منصبان على هذه النقطة وهي دفع الإنسان

لأن يبدل الهدى بالضلالة، والخير بالشر، والصالح بالفساد، وما أكثر من ينجح في إغوائهم! قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(١) وقال أيضاً: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾^(٢)، والقليل هو ما يقابل الكثير، فيكون المعنى أن الكثير غير شاكرين.

طريق الحق: -

الحق والصالح مفهومان لمصداق واحد، أي هما في الذهن معنيان ولكن الوجود الخارجي لهما واحد، فيكون قوله ﷺ: «طريقة حق» من باب العطف التفسيري والتوضيحي لقوله ﷺ: «هدى صالح».

بيد أنه يمكن أن يكون المراد بالهدى الدين والعقيدة، وأن يكون المراد بالطريقة العادات والسنن، فيكون معنى قوله ﷺ «متّعني بهدى صالح لا أستبدل به» الثبات على الإيمان والمبدأ، لأنه قد لا يبقى الفرد المسلم - والعياذ بالله - على الإيمان والإسلام بل يستبدل بالإيمان غيره ويرتدّ عن دينه، وما أكثرهم حتى في صدر الإسلام، فمن يقرأ التاريخ يجد أن عشرات بل مئات ارتدّوا ورجعوا عن الإسلام حتى في زمن

(١) سبأ/ ١٣

(٢) ص/ ٢٤

النبي ﷺ، فهو لاء لم يتمتعوا بهدى صالح دائم بل استبدلوا به الكفر. وكان هناك أقوام بقوا مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حتى السنين الأخيرة من عمره الشريف، ولكنهم شهروا سيوفهم في وجهه في السنتين الأخيرتين من حياته المباركة، كالخوارج، وكانوا قبل ذلك مسلمين مؤمنين ولم يكونوا منافقين ولكنهم ارتدوا عن إيمانهم.

وقد يبقى الفرد مسلماً مؤمناً، ولكن عنده عادات وتقاليد باطلة لا تتناسب مع إيمانه، فهذا لا يتمتع بطريقة حق، وقد يكون على طريقة حق وتقاليد صحيحة ولكنه يزيغ وينحرف عنها، كما هو حال كثير من المسلمين اليوم حيث نراهم يصلّون ويصومون ولكن لديهم عادات محرّمة أو مكروهة شرعاً، وخير مثال على ذلك ما نراه في تقاليد الزواج، فبعض الآباء يزوّج ابنته من دون أن يستشيرها، وهذا خلاف الشرع والسنة - حسب المشهور بين الفقهاء - أما إذا تسرّع وأعطى كلمة ثم جعلها ترضى بعد ذلك فلا إشكال، ولكن لابدّ من رضاها على كلّ حال. ومما ينقل في هذا الصدد أن رجلاً - وكان من المؤمنين - كان كلّما تقدّم إليه أحد في طلب ابنته للزواج رفضه، حتى تقدم إليه أحد الأشخاص فوافق عليه، فقال ذلك الشخص: هل أفهم أنك أعطيتني كلاماً عليها وانتهى كلّ شيء؟ قال الأب: نعم. قال الخاطب: هلا تسأل

البنّت؟ قال: هذا لا يعنيه، إنما أمرها يعود إليّ!

ولا تقتصر الطرق الباطلة على المحرّمات والواجبات بل تصدق في المستحبات والمكروهات أيضاً، ولذلك ينبغي للمسلم أن يكون على طريقة حق فيهما أيضاً، ومثاله: البدء بالتحية والسلام، فترى بعض الأشخاص لا يسلم على أحد أبداً، وإذا سلّم عليه أحد اكتفى بالردّ أما هو فلا يبدأ أحداً بالسّلام، فهذه الطريقة ليست طريقة حق.

إذن يمكن أن يكون المراد من قول الإمام (عليه السلام) «هدى صالح»: الإيذان بالصالح، والمراد من «طريقة حق»: السنن الصحيحة، كما يمكن أن يكون الثاني عطفاً تفسيرياً للأول.

وعلى كلّ حال، فإن المهمّ في الأمر هو الثبات عليهما، ولذلك قال الإمام (عليه السلام): «وطريقة حقّ لا أزيغ عنها». فما أكثر الذين كانوا على طريقة الحق ولكنهم لم يستمرّوا عليها إما نتيجة مشكلات سياسية أو اقتصادية أو إجتماعية أو عائلية أو نفسية أو تأثراً بغيرهم. وفي كلّ الأحوال لا ضمان لأيّ أحد بالثبات على طريقة الحقّ إلا بالدعاء والاستعانة بالله تعالى والسعي معاً، فالأمر بحاجة إلى دعاء وخشوع وتضرّع، إضافة

إلى السعي والجدّ.

الخير من الله والشر من الإنسان نفسه

ما يلفت النظر أنّ الإمام (عليه السلام) كان في الفقرات السابقة من الدعاء يعزي تغيّر الحالات كلّها لله تعالى، مثل قوله (عليه السلام): «ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزّاً ظاهراً إلا أحدثت لي ذلّة باطنة عند نفسي بقدرها» إلا أنّه (عليه السلام) في هذه الفقرة من الدعاء نسب الجانب السلبي «أي الاستبدال والزيغ والشك» للإنسان نفسه، فقال: «ومتّعني بهدى صالح لا أستبدل به، وطريقة حق لا أزيغ عنها، ونيّة رشد لا أشكّ فيها»، فما هو السبب في ذلك؟

يقول العلماء إنّ الله تعالى هو مسبّب الأسباب كلّها، ولذلك فكلّ فعل يصدر من الإنسان يكون منسوباً إلى الله تعالى من هذه الجهة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(١) ومن ثم كانت نسبة فعل الخير وما يصيب الإنسان من حسنات، إلى الله تعالى، ولكن حيث إنّ الإنسان هو الذي يهتدى السبب باختياره، وأن الله يغيّر حال الإنسان

تبعاً للاختيار الذي منحه الله له، فإن صدور الشر وما يصيب الإنسان من سيئة ينسب للإنسان نفسه، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾^(١) ولذلك نسبت الضلالة في القرآن الكريم إلى الله كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(٢) ونسبت إلى الإنسان، في حين نسبت الهداية إلى الله تعالى وحده كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٣)، والسبب كما قلنا يعود للإنسان الذي جعله الله تعالى مختاراً ليختار أحد الطريقين، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٤)، فبلحاظ أن الله تعالى منح الإنسان حق الاختيار نسبت الضلالة والهداية معاً إلى الله، كما أن الأب الذي يعطي ابنه نقوداً وينصحه أن يصرفها في سبيل الخير ويحذره من طرق الشر، ثم يخيره ولكن الابن لا يعمل بوصية الأب ونصحه، فينفق النقود في طريق الشر فإن الأب لا يكون مسؤولاً عن تصرف الابن، ومع ذلك يقول له: أنا السبب في ما عملته لأنني مكنتك وخيرتك ولكنك لم تعمل بنصحي!

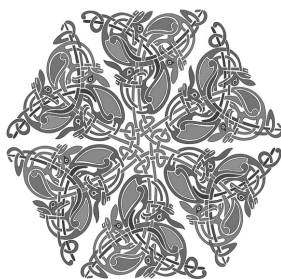
(١) النساء/ ٧٩

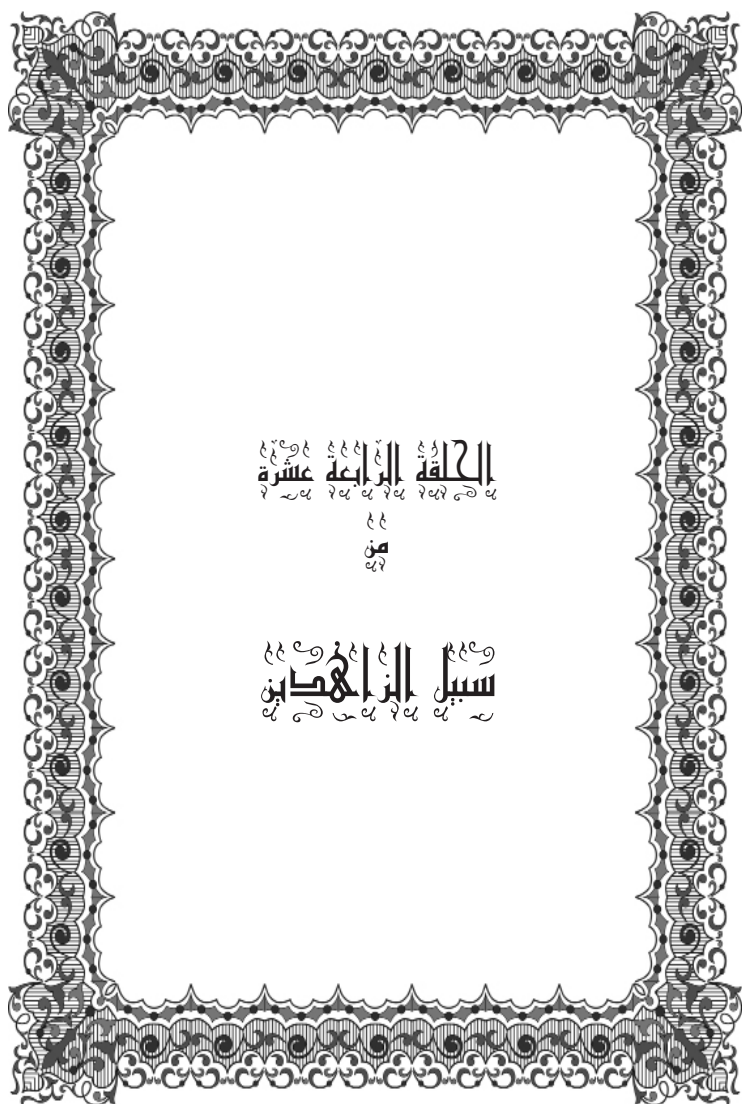
(٢) الزمر/ ٢٣

(٣) القصص/ ٥٦

(٤) البلد/ ١٠

إنَّ الله تعالى منح الإنسان حقَّ الاختيار من جهة، ومكَّنه من جهة أخرى من فعل الخير والشر معاً، ولكنَّه شجَّعه على فعل الخير والإقلاع عن الشر، كما دعاه للتوبة والأوب إلىه، فأرسل إليه الأنبياء والكتب، وجعل الأئمة الذين يهدونه ويعلمونه، ومن جملة تعليمهم هو الدعاء إلى الله وطلب الثبات منه.





الطائفة الرابعة عشرة
من

سبيل الزاكيين

نِيَّةُ الرُّشْدِ

لقد طلب الإمام عليه السلام من الله تعالى الهدى الصالح وعدم الاستبدال به، وهو الدين والإيمان، وطلب الطريقة الحقة وعدم الزيغ عنها، وهي الطريقة والسنة، ثم طلب نية الرشد وهي إطارهما، فربما تكون الظروف والأجواء بحيث يكون الهدى الصالح وطريقة الحقّ هما الغالبان، فينضمّ إليهما أغلب الناس كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾^(١)، لأن الدخول في الإيمان سهل والكفة الدنيوية الراجحة بيد أهل الحق، ففي مثل هذه الحالة لا تعرف حقيقة النوايا، عند أولئك الأفواج، خلافاً لنوايا أولئك الذين أسلموا في مكة عندما كانت بيد المشركين حيث أذاقوا الداخلين للإيمان صنوف العذاب، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ﴾^(٢).

كان رسول الله ﷺ يذهب بشخصه الكريم إلى القبائل والوفود الذين يأتون إلى مكة في موسم الحج - وكان الحج موجوداً قبل الإسلام

(١) النصر / ١-٢

(٢) الحديد / ١٠

ولكن الإسلام خلّصه من الطقوس الوثنية - فكان ﷺ يعرض عليهم الإسلام فكان بعضهم يرفض وقسم قليل يقبل دعوته، وكان بعضهم يسيء الأدب مع النبي ﷺ وربما لا يدعه يتكلم، وفي إحدى المرات أقبل رهط وأسلم ستة منهم.

تصوّر كم كان الأمر صعباً في البداية، وكم كان يعني الدخول في الإسلام، فالرسول ﷺ ينتظر سنة كاملة حتى يأتي الوفود والحجاج ليعرض عليهم دعوته ثم تكون الحصيلة إيمان ستة أشخاص فقط! وهذا يعني أن الهدى الصالح والطريقة الحقّة التي كان عليها هذه الثلّة المؤمنة لم تكن تقليداً أو من باب «حشر مع الناس عيد» بل كان إطارها النية الصادقة والراشدة.

ورب سائل يسأل كيف نحصّن نيّاتنا؟

يقول الإمام عليه السلام «ومتّعني بهدى صالح إلى ان يقول... ونية رشد لا أشك فيها»، والشك في النية مسألة مهمة جداً تتطلب انتباهاً كبيراً من الإنسان، لأن الشيطان يركّز كلّ جهوده عليها من أجل أن يزّل الإنسان ويحرفه عن الهدى الصالح والطريقة الحقّة. ولكي ندرك أبعاد حملة

الشیطان علينا، فلتأمل في الآية التالية فهي تحكي عزم إبليس وإصراره على إغواء البشر، وهو يقسم لله تعالى، بالله تعالى، على ذلك، كما حكاه القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(١) أي لا أدهم يصلون إليك بل أقف في طريقهم فكلما أتوك من جهة واجهتهم وحاولت صرفهم عنك، ومن لا تنفع معه المصارحة أي الاتيان من أمام أتيته من خلفه، أي ألبست له الحق بالباطل، أو قلت له: انظر إلى فلان وفلان ارتكب كذا وهو أعظم منك شأناً أو أحسن منك حالاً ومعاشاً.

فلنكن على حذر من ألاعب الشيطان الرجيم وأساليبه، ونطلب من الله تعالى نية الرشد والثبات عليها.

وقبال هذا، جعل الله تعالى لنا العروة الوثقى إن تمسكنا بها لم نزع ولم ننحرف، ذلكم هو القرآن وعتره النبي ﷺ، فهما العروة وهما المعيار الذي نعرف من خلاهما - أي بتمسكنا والتزامنا بهما وعدم الابتعاد عنهما - عدم انحرافنا عن الطريقة الحقّة وعدم استبدالنا شيئاً بالهدى الصالح والطريقة الحقّة، فلا نشكّ في نيّاتنا.

قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين، قالوا يا رسول الله وما الثقلان؟ قال: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهم لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كإصبعي هاتين، وجمع بين سبأتيه ولا أقول كهاتين وجمع سبأته والوسطى، فتفضل هذه على هذه».

هنا نكتة جديرة بالتأمل، وهي أن الناس - عادةً - إذا أرادوا وصف شيئين بأنهما لن يفترقا مثلاً لهما بجمع السبابة والوسطى، ولكننا نلاحظ أن الرسول ﷺ جمع بين سبأتيه، فلماذا فعل ذلك، وهو القائل: «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»؟

لقد أراد ﷺ أن يبين - إضافة إلى أنها لا يفترقان - أنها عدلان، فإن الوسطى أطول من السبابة قليلاً، ولكن حيث إن النبي ﷺ جمع سبأتيه فهذا معناه أنه لا القرآن أطول من أهل البيت ﷺ ولا أهل البيت ﷺ أطول من القرآن الكريم.

وقال رسول الله ﷺ: «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار». وإذا أخبر رسول الله ﷺ أن علياً مع الحق، فمعلوم أن الحق مع علي

أيضاً، ولكن الرسول ﷺ أراد بذلك التأكيد ومزيد الإلفات.

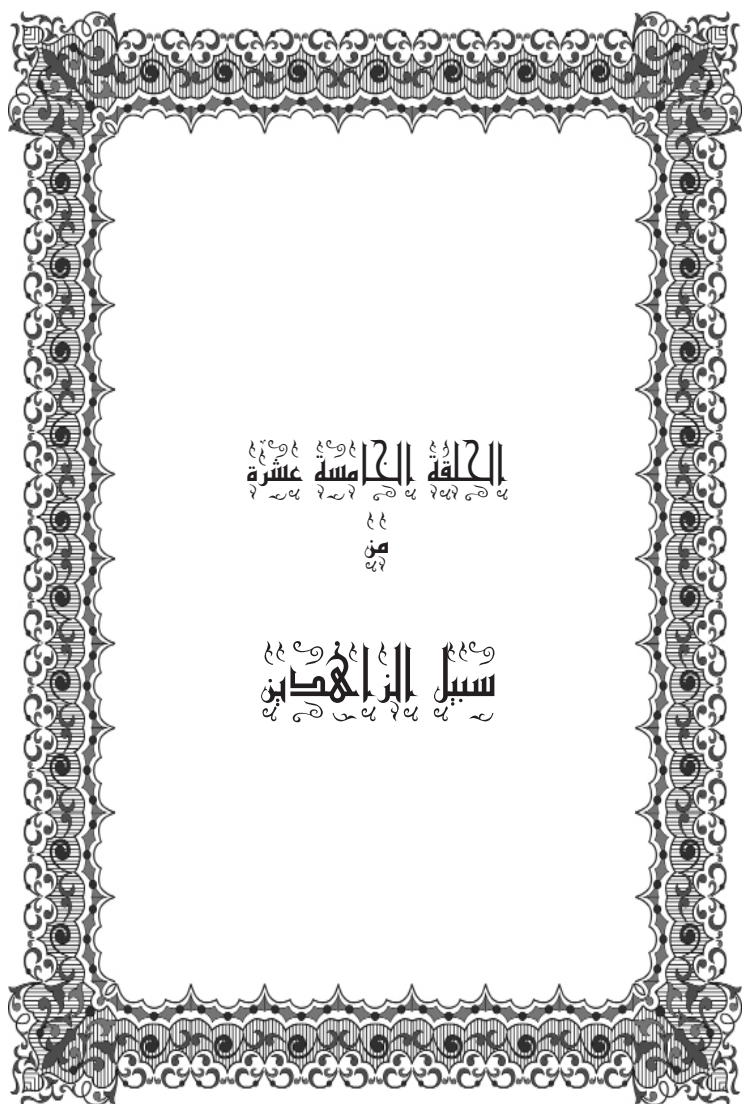
وهنا أيضاً نكتة أخرى جديرة بالالتفات وهي أن الرسول ﷺ قال «علي مع الحق والحق مع علي، يدور معه حيثما دار»، ولم يقل يدور حوله، مع أن ذلك هو مقتضى الدوران، ولكن النبي ﷺ يريد أن يقول: إن عليّاً هو ملاك الحق وميزانه ومعياره ومركزه، ولذلك فإن الحق يدور مع علي، وليس العكس. فهذه نكات بليغة ينبغي لنا أن نتوقف عندها ونكتشف مضامينها الرائعة.

ومما نفهمه من مضمون هذه الأحاديث أن الأشخاص مهما عظموا لا يكونون معياراً للحق أبداً، إلا أهل البيت ﷺ.

دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين (عليه السلام) في نفر من الشيعة... وقال: نال الدهر مني و زادني أوداً وغليلاً اختصام أصحابك ببابك. قال (عليه السلام): «فيم؟» قال: في شأنك والبلية من قبلك، فمن مفرط غالٍ ومبغض قال ومن مترددٍ مرتاب، فلا يدري أيقدم أم يحجم! قال (عليه السلام): «فحسبك يا أخا همدان فإنك امرؤ ملبوس عليك إن دين الله لا يعرف بالرجال بل بأية الحق، اعرف الحق تعرف أهله».

وهذه كلمة يخضع لها كل التاريخ ويجدر أن يقف بسببها حتى أعداء الإمام عليه السلام إجلالاً له! فما أغناها في المعاني رغم قلة الألفاظ! إن حياة كل إنسان واعٍ من بدايتها إلى نهايتها رهينة هذه الكلمة الخالدة، فمن عرف الحق «وهو ما قاله الرسول ﷺ في حديثه المتواتر: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً» لا يتزلزل إيمانه بعد ذلك.

فإننا ان لم نتخذ أهل البيت عليهم السلام ملاكاً وعروة فلا ضامن لنا من الاستبدال، لأن عدونا الشيطان متخصص في الإغراء والإغواء ومتفرغ لنا ولا شغل له غير ذلك ولا مشكلة عنده تلهيه عنا، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم في عروقه - كما في الحديث - ولكن الله جعل لنا أئمة أهل البيت عليهم السلام وأمرنا بالاعتصام بهم والتقوي على الشيطان وتسويلاته. فلتتمسك بهم ونزن مواقفنا بمعاييرهم، نضمن استقامتنا وثباتنا ونؤب إلى الحق والهدى أبداً.



الحلقة العاشرة
من

سبيل الزاكنين

شرح فقرة «لا تدع لي خصلة تعاب مني»

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه :

«اللهم لا تدع لي خصلة تعاب مني إلا أصلحتها، ولا عابئة أوْثب عليها إلا حسنتها، ولا أكرومة فيّ ناقصة إلا أتممتها».

قد تكون في الإنسان خصلة ولكنه لا يعلم بوجودها، وقد يعلم بها ولكنه لا يعلم أنها عيب وأنها توجب التعير والإعابة، وقد يعلم بها ويعلم أنها عيب ولكنه قاصر عن إصلاح نفسه والتخلص من هذه الخصلة المعيبة، وقد يكون مقصراً، ومثاله الجهل، فإن الإنسان يعاب عليه ولكن قد يكون جهله عن قصور لأنه لم يسعه أن يتعلم، وقد يكون مقصراً كما لو كان يمكنه التعلّم ولكنه قصر في الأمر، فعلى أيّ من هذه الحالات يعاب الإنسان ؟ الجواب: إنه يعاب عليها كلها لأن الإنسان لا يعاب على التقصير فقط بل قد يعاب على القصور أيضاً، كما أنه لا يعاب على شيء يعلم أنه عيب فقط بل قد يعاب على شيء لا يعلم بوجوده فضلاً عن علمه بوجوده ولكنه لا يعلم أنه معيب، ولذلك يقول الإمام عليه السلام: «لا تدع خصلة تُعاب مني»، أي أية خصلة،

لأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم كما هو معلوم.

وقد يكون العيب شرعياً كارتكاب الحرام والمكروه، أو أخلاقياً يعيب الشرع عليه أيضاً مثل العجلة وعدم التأني في الأمور، والغضب، والتكاسل، وقد يكون العيب اجتماعياً، فالمفهوم يشملها جميعاً، ومن ثم تكون مشمولة بإطلاق الدعاء والطلب من الله أن يصلحها مهما كان نوعها وفي أية حالة كانت، فإن الإمام عليه السلام لم يقل: «لا تدع خصلة تعيبها مني» بل قال: «تُعاب مني» وصيغة المبنى للمجهول تعطي سعة من ناحية الفاعل، فيكون معنى قول الإمام: اللهم أصلح أية خصلة تُعاب مني، سواء كان التعيب شرعياً أم عرفياً، وفي أية حالة اتّصفت بها، سواء كنت جاهلاً بها وبكونها عيباً أم لا.

العيوب الاجتماعية من منافيات العدالة :-

في صحيحة عبد الله بن يعفور أن الإمام الصادق عليه السلام يفسّر العدالة بقوله: «والساتر لجميع عيوبه».

وعندما يأتي الفقهاء إلى تعريف العادل يقولون: أن يكون تاركاً للمحرمات ولمنافيات المروّة.

أما ترك المحرمات فواضح، أما تركه لمنافيات المروّة فقد استفادوه

من قول الإمام «أن يكون ساتراً لعيوبه»، وفهموا أن مراد الإمام عليه السلام ليس العيوب الشرعية فقط بل العيوب الاجتماعية أيضاً، ولذلك قالوا إن العادل هو الذي يترك المحرمات ومنافيات المروءة أيضاً.

لقد اعتبر الشارع العيوب الاجتماعية نقائص وأوصى أتباعه بالتخلّص منها. وخير مثال على ذلك رفضه للباس الشهرة، فلقد أورد الفقهاء هذه المسألة وذكرها رواياتها في كتاب الصلاة في باب لباس المصلّي، وفي مواضع أخرى.

فقد حرّم معظم الفقهاء رضوان الله عليهم على المؤمن أن يخرج بلباس الشهرة إلى المحالّ العامة، وهو اللباس الذي يوجب أن يعيّرّه الناس بسببه، ومن لم يجرّمه منهم عدّه مكروهاً على الأقلّ.

ومن الفقهاء من أفتى بحرمة بعض المستحبات إذا صارت مدعاة لسخرية عاملها. وهذه مسألة مختلف بشأنها طبعاً، ولا تشمل الواجبات والمحرمات، لأنّ أحكام الله تعالى لا تتغيّر بسبب سخرية الناس. وحتى في حالة المستحبّ الذي قد يقال بتركه في حال حصول السخرية من فاعله، فإن ذلك لا يعدّ تغييراً لحكم الله تعالى وتعطيلاً له، بل إنه يُترك

من باب تعارضه مع ارتكاب الحرام، لأن المؤمن لا يجوز أن يعرض نفسه للسخرية والإهانة، فإن فعل ذلك يكون قد ارتكب حراماً، فإذا دار الأمر بين عمل المستحب وترك الحرام فلا شكّ يكون ترك الحرام مقدّماً على الإتيان بالمستحب، إذ لا إلزام في المستحب، بينما هناك إلزام بترك الحرام.

ومما يؤكّد حرمة الشهرة روايات عديدة عن المعصومين (عليهم السلام) منها رواية الإمام الصادق (عليه السلام) حيث يقول: «الشهرة خيرها وشرّها في النار».

الحذر من القصور والجهل المركّب: قد تكون عند الفرد خصلة أو خصال يعاب عليها شرعاً أو عرفاً ولكنه لا يعلم بوجودها أو بأنّها معيبة، وهذا من الجهل المركّب ويعدّ صاحبها قاصراً، وهذا من ضعف الإنسان ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(١)، فربّما يتبّه المرء بعد خمسين سنة أو أكثر إلى أنه كان مبتلى بخصلة معيبة طيلة العقود الماضية من عمره، فيندم ويتألّم، وحقّ له ذلك، لأن القصور والجهل المركّب بالعيب ليس مانعاً من الحسرة والندامة، ولا يعني عدم وجود العيب أو النقص والحرمان.

فلو تصوّرنا أن شخصاً كان يريد السفر بالطائرة وقيل له إنها تطلع في الساعة التاسعة مثلاً، وظنّ أن المقصود التاسعة مساءً، ولم يذهب إلى المطار حتى العصر، رغم أنه لم يكن بسبب أمر مهمّ شغله، بل لأنه كان يتصوّر أن ساعة الإقلاع هي التاسعة بعد الظهر، وعندما ذهب إلى المطار تبين له أن الطائرة قد أقلعت التاسعة صباحاً وأن من أخبره بساعة الإقلاع غفل أن يذكر له أن الإقلاع يكون في التاسعة صباحاً بل قال التاسعة وحسب.. فهل هذا الشخص لا يلوم نفسه ولا يتألّم خاصة لو فاتته موعد مهم أو مسألة مهمة بسبب جهله وغفلته، ألا يرى أنه كان من الواجب عليه أن يتأكّد قبل ذلك؟

فهكذا الحال مع الإنسان المبتلى بالعيوب، لا يعذر نفسه إذا تبين له ذلك وإن كان قاصراً، ومن ثم علينا أن ننتبه جيداً ونحذر من الوقوع في الجهل المركب والغفلة والقصور فضلاً عن التقصير! ونشعر بأهمية النصيحة والنقد البناء الموجه لنا، ونشكر من يدلّنا على عيوبنا لإصلاحها ونقول: «رحم الله امرأً أهدى إليّ عيوبي»، ونكون لئيين مع الناس ونشجّعهم في تعاملنا معهم على أن يهدوا إلينا عيوبنا!

روى الفضل بن شاذان - وهو من أعظم علماء الطائفة القدامى

ومحدثيها الثقات - عن علي بن محمد بن حمزة بن الحسين بن عبد الله ابن أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين (عليه السلام) ما أن الإمام العسكري (عليه السلام) قال له: «لقد وُلد وليّ الله وحجّته على عباده».

و«على» هنا قد تكون بمعنى أنه إذا قصر العباد، فبه يحتجّ الله «على» العباد، وقد تكون بمعنى العلوّ وسموّ المقام، ولا مانع من الجمع بينهما. فلنكن متبهيّن لأنفسنا داعين الله تعالى أن يخلّصنا من العيوب الشرعية والاجتماعية، لنحظى برضا إمامنا الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، فإن رضاه يعني رضا الله تعالى، لأن رضاه عنا منوط بإطاعتنا لأوامر الله سبحانه والازدجار عن نواهيه عزّ وجلّ

الحلقة السادسة عشرة

من

سبيل الزاكين

لنا في علمائنا أسوة حسنة

أن نستلهم الدروس من قصص هؤلاء الأعاظم، يقول أحد المشايخ: بدر في ذهني يوماً تساؤل مفاده: كيف أضمن أن يكون كلّ ما أقوم به من أعمال مطابقاً للموازين الشرعية الواقعية؟ وكان الشيخ حينذاك مرجعاً للتقليد والفتوى والحلّ والفصل وقبض الأموال ودفعها ونصب المتولّين في الشؤون الاجتماعية والإقتصادية والسياسية و... ولا شك أن الشيخ كان يراعي في تلك الأعمال الموازين الشرعية وكان محتاطاً فيها، وكانت صحيحة حسب ما تقوده الأدلة، ولكنه كان يخشى أن تنكشف له بعد الموت أن بعضها كان باطلاً بسبب قصوره، وإن كان معذوراً لأنه لم يكن مقصّراً في استفراغ الجهد للوصول إلى وظيفته الشرعية وتكليفه.

يقول الشيخ: كنت أخشى مثلاً أني أعطيت ما لزيد لعمره، أو حكمت بوقفية ملك وحرمت أصحابه منه - ولم يكن كذلك مثلاً - أو العكس، فستطول حسرتي، فماذا ينبغي لي أن أعمل لكي أتخلص من هذه المشكلة؟

وفكرت مع من أطرح هذه القضية؟ هل أطرحها على بعض العلماء الأتقياء الزهاد الموجودين في النجف الأشرف؟ ولكنني أجبت نفسي بالقول إن أيّاً منهم لا يشفي غليلي لأنه مثلي يعرف نفس الأدلة المتداولة التي أعرفها وهي الكتاب والسنة والعقل والإجماع، ولو طرحت إشكالي على أيّ منهم لأجابني بالجواب الذي أعرفه أيضاً: وهو أن الواجب استفراغ الجهد وأن أحكامنا ظنيّة و... .

فقرّرت التوسّل بالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومَرّت مدة طويلة لم تنقطع توسّلاتي بالإمام (عليه السلام) ولكنني لم أحصل على نتيجة وجواب، حتى بصورة غير مباشرة كأن يحصل في داخلي نور أو التفت إلى شيء، أو أحدٍ فأفهم أن أعمالي صحيحة فأطمئنّ، أم ليست بصحيحة فأتوقّف. ولكنني لم أقطع الأمل من الإمام فتوسّلت للمرة الثانية والثالثة والعاشر والعشرين والخمسين والمئة... ولا نتيجة؟ وقلت مع نفسي: لعلّ هناك مصلحة في التأخير فلا ينبغي أن أياس بل اللازم أن أواصل الدعاء والإلحاح في الطلب، وبقيت على ذلك زماناً حتى أُصِبت بلوعة في أحد الأيام وكنت في روضة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عند ضريحه المقدّس، فخاطبته عاتباً: سيدي لقد طال توسّلي بكم ولم تجيبوني، وأنا لم أطلب منكم المال لأنّي تعلّمت من رواياتكم أن من يريد شيئاً فعليه أن

يطلبه من مظانّه وعلى طالب المال أن يتاجر ويكتسب. ولم أطلب العلم الظاهري فإني أعرف أن جوابكم لمسألتي حسب العلم الظاهري هو أن عليك أن تذهب وتتعلم حتى تزداد علماً. ولم أطلب منكم شفاء مرض في بدني لترشدوني إلى طبيب يعالجني أو تمنّوا علي بالشفاء، إن لي حاجة لا يستطيع قضاءها إلا أنتم أهل البيت، فلقد أفنيت عمري على اعتباركم أدرس أحاديثكم، واليوم تمرّ عليّ ثلاث سنوات أطلب منكم جواباً لسؤالي وأريد أن أعرف أيّ مرضي عندكم أم لا، فلماذا لا أحصل على جواب منكم.

يقول الشيخ: وانفعلت كثيراً حتى لقد أصابتنني حمى شديدة وعدت إلى البيت ولم أستطع تناول العشاء، وكنت ما زلت رغم إحساسي بالمرض والإعياء، أعيش حالة التضرع والتوسل إلى الله تعالى وكان دعائي يخرج من القلب وليس من اللسان، حتى غلبني النوم، فرأيت في عالم الرؤيا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقال لي: «أطلب حاجتك من ابني المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف».

يقول الشيخ: فاستيقظت وتذكّرت أنه كان ينبغي لي من البداية أن أتوجّه بحاجتي إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لأنه

إمام عصرنا، فتوجّهت إليه بالزيارة والدعاء، ولم تمرّ عليّ ثلاثة أيام حتى حضر عندي شخص أدركت بعد ذهابه أنه إمامي الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، سألتني أسئلة فأجبتة عنها، ثم التفت إليّ وقال: «أنت مرضي عندنا». صحيح إن الشيخ كان معذوراً لأنه لم يكن مقصّراً، ولكن هل يُعطى المعذور ما يُعطى البصير العارف المطيع الممثل من الدرجات؟! فإذا كان الشيخ قد بلغ درجة بحيث تشرف بلقاء الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وسمع منه هذا الكلام، فعلينا أن نراجع أنفسنا لئلا نكون مبتلين بخصال نعاب عليها فتحول بيننا وبين درجة القرب من الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. فربّ خصال معيبة فينا ولا نعلم بها أو نعلم بوجودها ولكن لا نعلم أنها معيبة، نسأل الله تعالى أن يخلّصنا منها، وأن نكون - قبل ذلك - أهلاً لإجابة الدعاء، لأن هناك شروطاً كثيرة لابدّ أن تتوفر في الداعي حتى يكون أهلاً لأن تستجاب دعوته، وقد عدّ السيد ابن طاووس ستة عشر شرطاً لاستجابة الدعاء، فربّ شخص لا توجد مصلحة في إجابة دعوته. لو استعطى فقير منك كمية من المال، وكنت تعلم أنه صادق في طلبه وأنه محتاج إليها فعلاً، ولكن كنت تعلم أيضاً أنك لو أعطيته المال فإن ذلك سيصير سبباً لهلاكه.

وقد تعلم أيضاً أن النصيح لا ينفع معه أو لا يصدّق إن أخبرته بما سيحدث له، فهل ستعطي مثل هذا الشخص المال رغم حاجته إليه؟ فهكذا الحال بالنسبة للداعي، فإن دعوته لا تجاب إلا إذا توفّرت على شروط الاجابة.

إذن علينا أن نعمل ونسعى لكسب رضا إمامنا المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف وأن نكون من الممثلين لأوامره ليس في زمن ظهوره فحسب بل في عصر غيبته أيضاً، لأن أوامره هي أوامر آبائه الطاهرين وأوامر جدّه الرسول الكريم ﷺ بل أوامر الله تعالى.

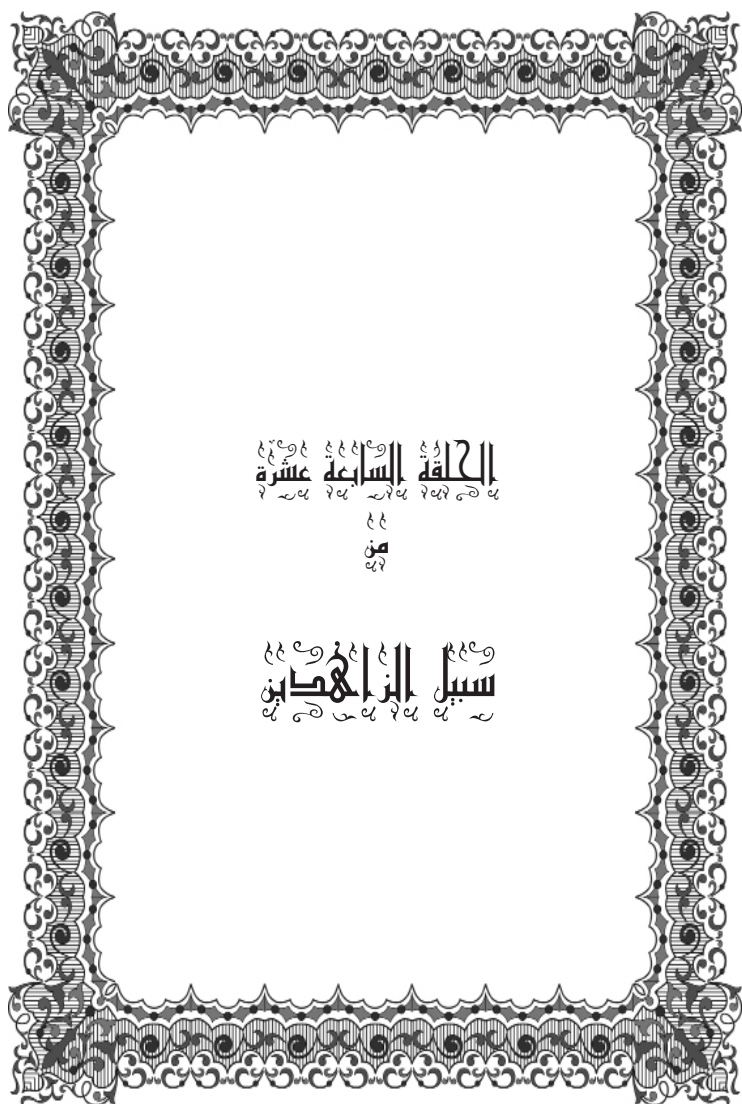
صحيح إن القيام بالطاعات والإنهاء عن المعاصي والصبر عليها ليس بالأمر السهل دائماً، ولكن من دون ذلك لا يتحقق رضا الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف ولا تستجاب الدعوات. فلا بدّ للمؤمن أن يخصّص ساعات كل يوم للإستغفار ومحاسبة النفس لئلا يتعدّى حالة القصور إلى التقصير والعياذ بالله، فقد تصدر من الإنسان معصية ولكنه لا يلتفت إليها وتفوته إما لحسن ظنه بنفسه أو لكثرة مشاغله أو أنساه الشيطان له لئلا يتوب ويستغفر، كما أنه قد ينسيه الطاعة لئلا يبادر إليها، فهذا هو شغل الشيطان، كما ورد في قصة موسى والخضر: ﴿وَمَا

أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ»^(١) أن أذكره، وهذا ليس مقتصرًا على الخوت بل هو ديدن الشيطان فكيف يقدر الإنسان أن يقاوم إن لم يحاسب نفسه كلَّ يوم، كما أوصى بذلك الأئمة الأطهار^{عليهم السلام}. فثمة روايات مستفيضة في هذا الباب منها: عنهم^{عليهم السلام}: «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم...».

ولابد للمؤمن أن يكون يقظاً حذراً دائماً ويسعى لرفع الحواجز من حوله، وأن يكون دعاؤه من الأعماق، وليس من الذين «يقروون القرآن لا تجاوز تراقيهم» والترقوتان هما العظامان المكتنفان بالحلقوم! ولا من الذين يقروون القرآن والقرآن يلعنهم، ففي الحديث: «ربّ تال للقرآن والقرآن يلعنه».

ولا من الذين يغمضون أعينهم في طلب المال ولا يعيرون اهتماماً في كيفية كسبه وإن كان حراماً! كم.

وهؤلاء الذين ذكرناهم ليسوا كفاراً لأن الكفار لا يقروون القرآن! فعلينا أن نكون يقظين حذرين ناشدين رضا الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، وعلينا بالتأسي بعلمائنا الأبرار رضوان الله عليهم في هذا المجال.



الحلقة السابعة عشرة

من

سبيل الزاكين

حاجات الإمام عليه السلام

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه مكارم الاخلاق:

«اللهم لا تدع لي خصلة تعاب مني إلا أصلحتها، ولا عائبة أؤنب عليها إلا حسنتها، ولا أكرومة في ناقصة إلا أتممتها».

في هذه الفقرات الثلاث نرى أنّ الإمام السجاد عليه السلام يسأل الله تعالى ثلاث حاجات، ولكنه في سؤاله عن كلّ حاجة يستعمل كلمة غير التي يستعملها في السؤال عن الحاجة الأخرى، فمع أنّ الإمام يطلب من الله تعالى في هذه الفقرات إصلاح الحال وما تنطوي عليه النفس من نقائص، وتغييرها إلى ما هو أحسن، ولكنه عليه السلام يعبر عن النقص الأول بالخصلة المعيبة ويطلب من الله تعالى إصلاحها، ويعبر عن النقص الثاني بالعائبة التي يؤنب بسببها ويسأل الله تعالى تحسينها، ويعبر عن النقص الثالث بنقصان الأكرومة ويطلب من الله تعالى إتمامها.

ولا شك أنّ هناك ربطاً بين سؤال الإمام وحاجته، فالخصلة التي تعاب بحاجة إلى إصلاح، والعائبة التي يؤنب بسببها المرء ويلام تحتاج إلى تحسين، والأكرومة الناقصة تتطلّب إتماماً.

ولا شك أنّ الألفاظ التي استعملها الإمام عليه السلام تنطوي على بلاغة عالية وعلى عالم من المعاني والمفاهيم.

فقد يكون الشخص سيّئ الخلق، وقد يكون حسن الخلق ولكن عنده إفراط، وقد لا يكون سيّئ الخلق ولا مفرطاً، ولكنّه حسن الخلق مع بعض الناس دون بعض، فهذه حالات ثلاث.

أمّا الشخص الأول «سيّئ الخلق» فبحاجة إلى إصلاح لأنّ سوء الخلق فساد والفساد يتطلّب إصلاحاً.

وأمّا الشخص الثاني «حسن الخلق المفرط، كالشخص الكثير الضحك» فبحاجة إلى تحسين وضعه وحاله، لأنّ الإفراط عيب.

وأمّا الشخص الثالث الحسّن الخلق مع بعض دون بعض، فهو ينطوي على أكرومة ولكنّها ناقصة، فيقتضى إتمامها.

الحالة الأولى لا حاجة للوقوف عندها كثيراً، لأنّ كلّ فاسد بحاجة إلى إصلاح، فسوء الخلق فساد لا بدّ من إصلاحه.

أمّا الحالة الثانية - وهي حالة وجود الفضيلة ولكن وجود إفراط

فيها - فتنطلب تحسیناً، لأنها ليست فساداً لكي تُقلع بالمرّة، بل لابد من التحسين فقط.

يقول علماء الأخلاق: إنّ كلّ فضيلة هي وسط بين رذيلتين هما الإفراط والتفريط في الحالة. فالكرم وسط بين البخل والإسراف، والشجاعة وسط بين الجبن والتهوّر، وهكذا. وكلّ شيء جاوز حدّه انقلب إلى ضده. وخير مثال على ذلك وضع الملح في الطعام فإنّ زيادة الكمية نقص كما نقصانها. فالفضائل مطلوبة لكن ضمن حدودها، فإن تجاوزتها انقلبت إلى أضدادها فيحصل التأنيب، وتحتاج إلى التحسين.

وأما الحالة الثالثة فمثالها وجود الفضيلة أحياناً دون أخرى، فترى الشخص مثلاً حسن الخلق في المجتمع ولكنه ليس كذلك مع أهله، أو العكس، فمثل هذا الإنسان ليس سيئ الخلق مطلقاً ليكون محتاجاً إلى الإصلاح ولا حسن الخلق مع إفراط فيحتاج إلى التحسين، ولكنه لا يتوفّر على بعض الفضائل وإن كان يتوفّر على بعض آخر، فهو لذلك بحاجة إلى إتمام ما ينقصه.

وهكذا يتّضح أنّه كما ينبغي التدبّر في آيات القرآن الكريم بل قد

يجب أحياناً من باب مقدّمة الوجوب - حسب الاصطلاح العلمي -
فكذلك ينبغي وقد يجب التدبّر في أدعية المعصومين (عليه السلام) ومواعظهم، فإنّ
التدبّر فيها يكشف عن دقائق ونفائس في كلماتهم تنير حياتنا.

خذ مثلاً كلمة «عائبة» فهي مؤنّث «عائب» والشيء العائب يحتاج
إلى تحسين ومعالجة، كالسفينة إذا خرقت أصبحت معيبة فإن لم تعالج
نفذ إليها الماء تدريجياً وآل أمرها إلى الغرق، كما نقرأ ذلك في قصة موسى
والخضر عليهما السلام في قوله تعالى حكاية عنهما:

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ
أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾^(١)، وهكذا الحال
مع النفس الإنسانية إذا كان فيها عيب وخلل يلام عليه الإنسان، فلا بدّ
من ترميمها وإزالة ذلك الخلل والعيب، ولذلك يقول الإمام (عليه السلام) «ولا
عائبة أوّنب بها إلاّ حسنتها».

وإذا كان الأئمة المعصومون (عليهم السلام) وهم في أعظم مقام يمكن أن
يبلغه مخلوق، يطلبون من الله دائماً أن يعينهم في التكامل، فما أحرانا وما
أحوجنا لأن نتوسّل بالله تعالى في الإطار نفسه، فإنّ الإنسان كلّ نقص

وافتيقار لله تعالى، ومن ثم فهو مدين لله تعالى ويجب عليه أن يتوجّه إليه بالشكر على كلّ النعم سواء في الأمور المادّية أو المعنوية. حتّى نعمة الشكر على ما أنعم عليه، فإنّها تستوجب شكراً، ولذلك لا يتوقّف شكر الإنسان لله تعالى عند حدّ. لقد أنعم الله تعالى على الإنسان بالنعم المادّية لكي يستطيع أن يزكّي نفسه، ومنحه القوى لكي يكتسب المعالي والفضائل.

الورع وترويض النفس :-

يظهر من الروايات أنّ رسول الله ﷺ كان يلقي خطبة في استقبال شهر رمضان كلّ عام، ولكن هناك خطبة معروفة في هذا المجال ولعلّها أشهر تلك الخطب وأجمعها. في آخر هذه الخطبة يتوجّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالسؤال من رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ ولا شك أنّه سؤال العارف الذي يعرف الشيء ولكنه يسأل ليفهمه للآخرين.

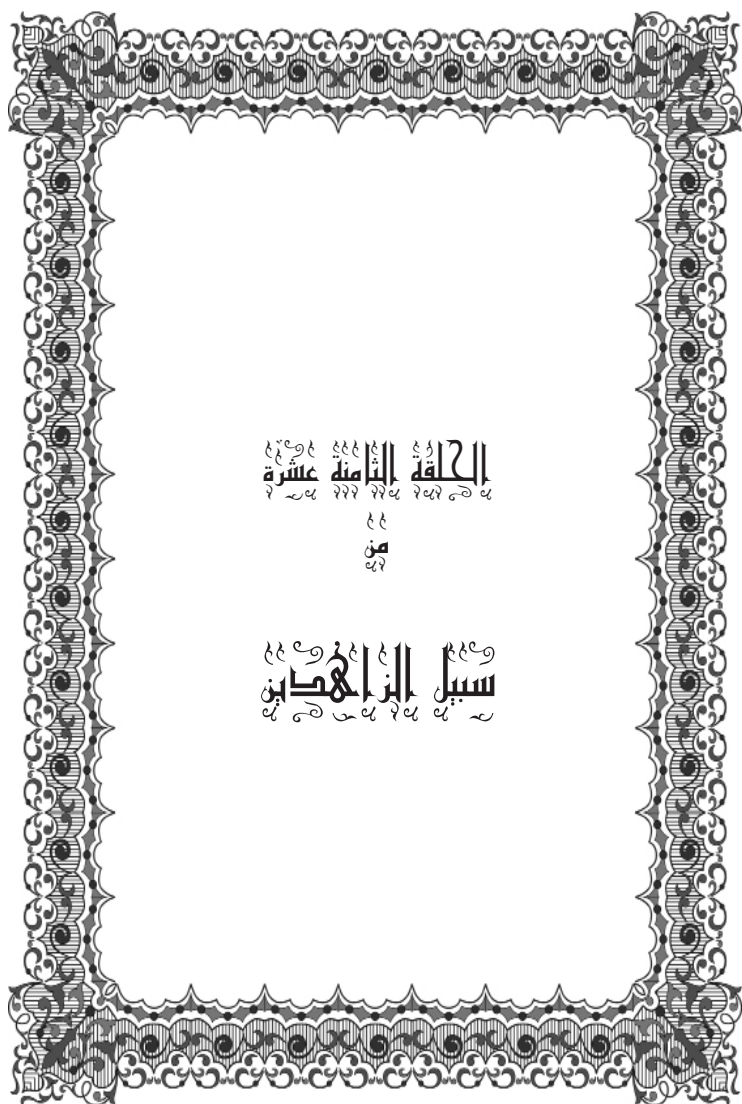
يلاحظ المتنبّع أنّ الإمام عليه السلام لم يقل: «ما أفضل هذه الأعمال؟» بل قال: «ما أفضل الأعمال؟» أي أعمّ ممّا ذكره وما لم يذكره النبي ﷺ في الخطبة، ويقول علماء اللغة إنّ الجمع المحلّى بـ «أل» ظاهر في العموم.

وكان رسول الله ﷺ قد ذكر أموراً عديدة في خطبته الشريفة ينبغي للصائم عملها في شهر رمضان، وحث المؤمنين عليها، ولكنه لم يأت على ذكر أيٍّ منها في جوابه للإمام، بل قال ﷺ: «الورع عن محارم الله»

ولكن هل يحصل الورع عند الإنسان بمجرد أن يشاء ذلك؟

بالطبع كلا، لأنّ هناك موانع كثيرة تقف في طريقه، كالشيطان والشهوات والنفس الأمّارة بالسوء، ولا بدّ من ترويض النفس وتدريبها للتغلب على هذه الصعوبات والموانع، كما هو الحال في كلّ مجالات الحياة فإنّه لا تقوى استعدادات الإنسان من دون ممارسة وتدريب. ينقل أنّ أحد كبار العلماء المعروفين بالماضين «رحمة الله عليهم جميعاً» لم يمارس الكتابة منذ بدأ دراسته، فظلّ لا يجيدها حتّى بعد أن بلغ مراحل عالية في العلم وأصبح مرجعاً درّس ودرّس الكتب الكثيرة، وألقى آلاف المحاضرات. وقيل في أحواله أنّه كان يجد صعوبة حتّى في كتابة سطر واحد، وإذا كتب شيئاً لا يكون مفهوماً.

فإذا كان من قرأ آلاف السطور لا يجيد كتابة سطر واحد لأنّه لم يمارس الكتابة، فهل يمكن للإنسان أن يصبح ورعاً «أي حائزاً على ملكة الابتعاد عن محارم الله تعالى» من دون ممارسة وتدريب؟ كلاً بالطبع.



الحلقة الثامنة عشرة
من

سبيل الزاكين

الورع

لقد وصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المتقين بقوله: «فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون» فرغم أنهم لم يشاهدوا الجنة والنار بأعينهم الباصرة ولكنهم ممثلون يقيناً بهما، فترى أحدهم يحلم ويصفح عمن سبه أو ظلمه لأنه يعلم أنه سينال بذلك درجة في الجنة، فهو سعيد منعم حتى في هذه الحالة، لأنه كمن يرى الجنة ودرجة المحسنين فيها بعين البصيرة وإن لم يرها بالعين الباصرة.

إن الورع هو الذي يبلغ بالإنسان إلى هذا المقام، ولكن هل يتحقق هذا دون سعي وعمل؟ إن القرآن الكريم يصرح في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(١) إن الله تعالى هو الذي يفيض على الإنسان وهو الذي يعطيه ولكن ذلك لا يتم إلا مع السعي والتمرين من قبل الإنسان نفسه.

لو أن شخصاً تثق بأقواله أخبرك أنه مستعد لتعويضك عن كل

ما ستنفقه من أموالك في مجال الخير ويزيدك عليه شيئاً، فهل تتأخّر عن الإنفاق أم ستبسط يدك في سبيل الخير؟ لا شك أنّك لا تتأخّر عن الإنفاق لأنّك تعلم أنّه سيعوّضك عن كلّ ما ستخسره من أموال، وما ذلك إلّا لأنّك تشاهد الشخص الذي تثق به عياناً، وترى أمواله وإمكاناته وتحسّ بعلاقتك المباشرة معه. فهكذا يكون المتّقون في تعاملهم مع الله تعالى، لذلك ترى الإنسان المتّق لا يقول لماذا عمل معي فلان كذا مع أنّي خدمته؟! بل لا يفكر في ذلك، لأنّه يؤمن بقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾^(١) بل تراه يتّهم نفسه دائماً، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «المؤمنون لأنفسهم متّهمون...» أي أنّ المؤمن يتّهم نفسه ويرأها مقصّرة دائماً! وما دام الأمر كذلك تراه لا يتألّم ولا يقلق ويبقى أرقاً حتّى الصباح لمجرد أنّ شخصاً ما لم يردّ عليه إحسانه، وأمّا حاله مع سخط الله تعالى فتراه يحتاط حتّى في قول كلمة واحدة ويحذر من أن تصبح له فحاً يؤدّي به إلى النار. لقد نقل عن سجين: أنّه كان جالساً مع زملائه في السجن لتناول وجبة الصباح، إذ نودي بإسم أحدهم للذهاب إلى المحكمة، وكان يحمل كوب الشاي بيده فبدأت يده ترتعد وترتعش حتّى فرغ كلّ ما في الكوب من الشاي وسقط الكوب

من يده إلى الأرض.. كل ذلك لخوفه من المثل أمام محكمة المخلوق،
ويقينه بوقوعها. هكذا هي حال المتقين في يقينهم بمحكمة الخالق، فما
أعظمها وأعظم أهوالها!

لننتهز الفرص من أجل بناء أنفسنا

لينتهز كل منا الفرص - لا سيّما شهر رمضان - من أجل بناء
نفسه، فإنّه لا حدّ لبناء النفس، ولا يتصوّر أحد أنّه سيصل الحدّ الذي
يتوقّف عنده جهاد النفس وبنائها، ولقد ذكرنا في الحلقة السابقة أنّ
الإمام السجّاد عليه السلام يطلب في هذه الفقرة من الله تعالى ثلاث خصال في
سبيل بناء النفس وتكاملها، فإنّه لا حدّ للتكامل والرقىّ أبداً، حتّى
عند المعصوم مع أنّ العصمة هي أعلى درجات الرقيّ بالنسبة لسائر
الناس، ولن يبلغوها لأنّها خاصّة بأولئك الذين اصطفاهم الله لبلوغ
هذا المقام، ولكن هذا لا يعني التوقّف عن بناء النفس وتكاملها، فما
أحرى بالإنسان أن يسعى لبلوغ منزلة «فهم والجنة كمن قد رآها فهم
فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون».

بالسعي والتمرين - خاصّة خلال شهر رمضان - يمكن أن
يصل الإنسان إلى تلك المرتبة، لأنّ هذا الأمر لا يتحقّق دفعة واحدة بل

يتطلّب الممارسة والرياضة من أجل الرقي درجة درجة، فإنّ الله تعالى جعل عالم الدنيا عالم الأسباب، فلا يمكن أن ينام الشخص في إحدى الليالي ثمّ يستيقظ صباحاً ليجد نفسه قد تحوّل تحوّلاً كاملاً دفعة واحدة من الصفر حتّى بلوغ مرحلة «فهم والجنّة كمن قد رآها».

أجل، قد تحصل عند الإنسان حالة من التغيّر بسبب حالات خاصّة أو ظرف طارئ أو بسبب بعض المشكلات أو نتيجة التحرّز والاحتياط في ما يدخل الجوف من الطعام إلّا ما ثبت حليّته من جميع الوجوه، أو التآثر بموعظة سمعها من خطيب أو وصايا قرأها لأهل البيت (عليه السلام)، وربما اجتمعت عوامل عدّة في خلق هذه الحالة عند الإنسان، فيشعر أنّ قلبه قد تنوّر بعض الشيء، فينعكس هذا على سلوكه ومشاعره لتكون أفضل، ولكن هذه الحالة لا تستمرّ معه أبداً، فسرعان ما تبدأ بالذوبان كقطعة الثلج التي تذوب تدريجياً، وإذا به بعد أسبوع مثلاً يعود إلى سابق وضعه وحاله، وما ذلك إلّا لفقدانه الرصيد الذي يمدّه، أمّا إذا كان متّصلاً بالرصيد والممّون الذي يستمدّ منه الفيض باستمرار، فإنّه سيبقى على تلك الحالة بل يزداد تصلّباً وتماسكاً فيها - كقطعة الثلج التي توضع في المجمّدة لا تذوب ما زالت المجمّدة تعمل - وشهر رمضان خير ممّون للإنسان في هذا المجال، فلنستثمر أيامه ولياليه

وساعاته ومناسباته وأدعيته العظيمة، فلنقرأ في كل ليلة مقاطع من دعاء أبي حمزة الثمالي بتأمل وتدبر، ونقف متمعنين عند كل جملة أو عبارة أو فقرة من الدعاء، لأنّ التمعّن أفضل من القراءة العابرة لكل الدعاء.

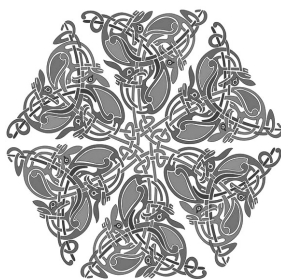
ولا أقول لا تقرأوا الدعاء كلّ، فالدعوة للتأمل ببعض فقراته كلّ ليلة لا تتنافى مع قراءته كلّ، لأنّ قراءة الدعاء والمواظبة عليها تخلق هي الأخرى ارتكازاً وحالة في النفس تساهم مع التأمل والتدبر في بعض فقراته في البلوغ بالداعي نحو مرحلة «فهم والجنّة كمن قد رآها»، وتعين العبد على أداء أفضل الأعمال في هذا الشهر وهو «الورع عن محارم الله»، كما جاء عن رسول الله ﷺ في معرض جوابه لأمير المؤمنين (عليه السلام) حين سأله عن أفضل الأعمال في هذا الشهر.

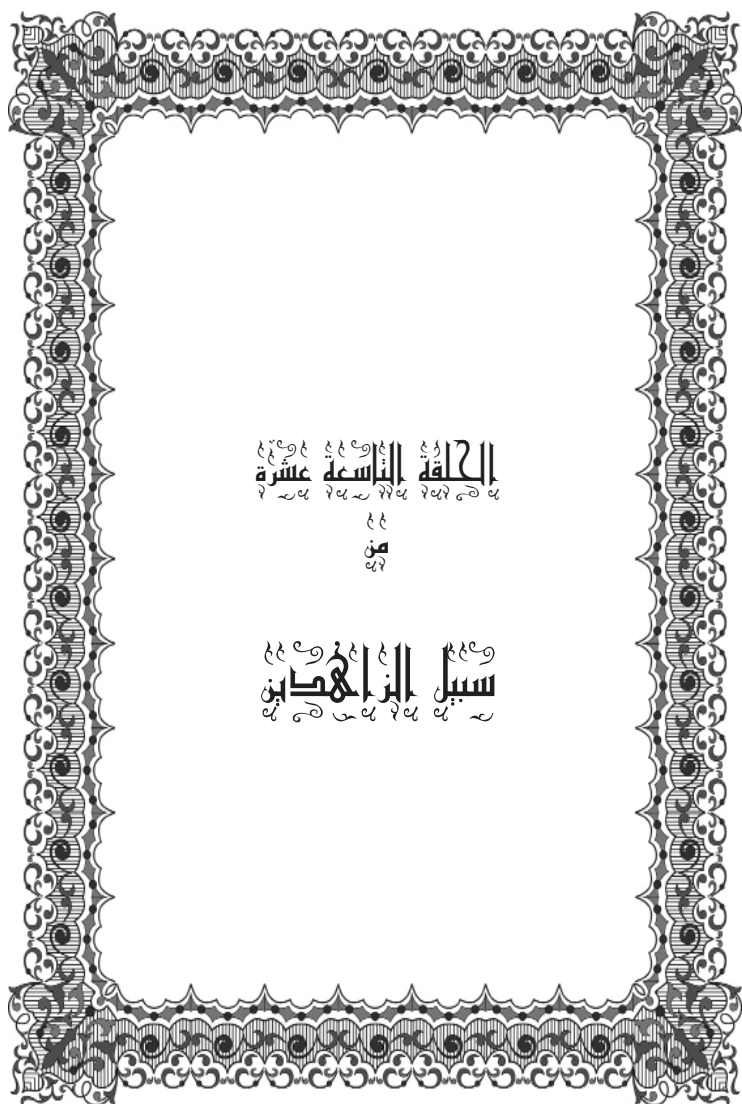
وكان النبي ﷺ قد نبّه المسلمين في خطبته التي استقبل فيها شهر رمضان على استثمار هذا الشهر، ومن جملة ما قاله لهم ﷺ: «أيّها الناس إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها بإستغفاركم». وهذا معناه أنّ كل عمل نقوم به مهما كان صغيراً فإنّه يرهّن أنفسنا. فالنظرة، والكلمة، وكلّ عمل يصدر عنّا يجعلنا رهائن، ولا نستطيع أن نفكّ أنفسنا إذا صارت رهائن إلاّ بالاستغفار.

ولا يشترط أن تكون الأعمال التي نقترفها كبيرة لكي نصبح رهائن لها، بل كل عمل كفيل بأن يرهن صاحبه مهما كان صغيراً، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ *﴾^(١). فمن القطرات يتكوّن السيل الذي يحرف البيوت، ومن القطرات يتكوّن ماء المطر. إنّ الإنسان مسؤول عن كل صغيرة وكبيرة، كما ورد في الحديث الشريف: «ألا وإنّ الله عزّ وجلّ سائلكم عن أعمالكم حتى مسّ أحدكم ثوب أخيه بإصبعيه» فلعلك تضع إصبعك على الثوب تريد معرفة نوعه أو لغاية أخرى ولا يكون صديقك راضياً بذلك، فإنّك إن فعلت ذلك ستسأل عنه يوم القيامة، وفي الحديث أيضاً: «لا يحلّ مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه». يقول العلماء إنّ النكرة في سياق النفي تفيد العموم و«مال امرئ مسلم» نكرة وجملة «لا يحلّ» نفي فتكون جملة «لا يحلّ مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه» مفيدة للعموم ويندرج تحتها المورد المذكور في الحديث المتقدم «حتى مسّ أحدكم ثوب أخيه..» وإن كان في مستواه الأضعف وليس الأشد كالسرقة والعياذ بالله.

وثمة رواية أخرى تقول: «في حلالها حساب وفي حرامها

عقاب» أي أنّ الإنسان سيسأل يوم القيامة حتّى عن النفخة ينفخها، كما لو نفخ في وجه إنسان يتأذى من ذلك فإنّه سيعاقب عليه، أو نفخ في نار قدر الإطعام للمشاركين في عزاء الإمام الحسين (عليه السلام) مساهمة منه في تعظيم شعائر الله تعالى فإنّه سيثاب على ذلك. وهكذا يحتاط الإنسان الورع في كلّ أعماله لأنّه هو والجنة كمن قد رآها فهو فيها منعم، وهو والنار كمن قد رآها فهو فيها معذب.





الحلقة التاسعة عشر
من

سبيل الزاكين

الورع واجب عيني وفي كل حال

إنّ الورع واجب دائماً وليس في شهر رمضان فقط، وهو واجب عيني على كل مكلف وليس كفاً بحيث إذا قام به بعضهم سقط عن الباقي.

أمّا كيف يكون الورع واجباً فجوابه: لما كان ترك المحرمات واجباً مطلقاً، وكان الورع - وهو تحصيل ملكة ترك المحرمات - مقدّمة وجوبية له، والمقدّمة الوجوبية للواجب المطلق واجبة «من باب إذا وجب شيء وجبت مقدّمته»، إذن يكون الورع واجباً على المكلف.

وهذا من قبيل ما ورد في عبارات الفقهاء: «يجب على كل مكلف أن يكون في عباداته ومعاملاته مجتهداً أو مقلداً أو محتاطاً»، فإنّه أيضاً وجوب نشأ من نفس الطريق وهو كونه مقدّمة وجوبية للواجب المطلق.

ثمّ إنّ الورع الذي قلنا بأنّه واجب بالوجوب العيني - بحيث لا يسقط عن شخص وإن بلغ أخوه أعلى درجاته - إنّ هذا الورع لا يأتي من فراغ وهكذا اعتباراً، كما تقدّم منّا، ولا يكفي الدعاء أيضاً في حصوله بل لا بدّ من أن يسعى الإنسان لتحصيله عبر السعي والممارسة

والاستفادة من المناسبات التي وفّرها الله تعالى للإنسان المؤمن كشهر رمضان المبارك مثلاً، فلنحاول أن نختار في كل يوم من هذا الشهر الفضيل - وهكذا في سائر شهور السنة - إحدى الإرشادات الدينية، ونعزم ونصمم على تطبيقها في ذلك اليوم، فإنّ الأمر بحاجة إلى عزيمة، وكما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام «فإنّما هي عزيمة» والتاء في قوله «عزيمة» للمبالغة وليست للتأنيث.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه كلّ يوم فإن عمل حسناً استزاد الله وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه».

وعبارة «كل يوم» غير مختصّة بشهر رمضان كما هو واضح، ولكن لنفعل ذلك في شهر رمضان على الأقل أو لنبدأ منه.

ولقد روي في هذا المجال أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ووبّخوا قبل أن توبّخوا».

ولنحذر نحن - أهل العلم خاصّة - أن نكون يوم القيامة مصداقاً لما ورد في الحديث الشريف: «أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف

عدلاً ثم خالفه إلى غيره»

ينبغي لنا ان ندرك ذلك بالتأمل، كما يفترض بنا الاهتداء والاقتداء بأقوال وأفعال الأئمة المعصومين (عليه السلام) الذين يعلموننا ما هو الخطأ وما هو الصواب، ويمكننا القول إنَّ هذا ممَّا يمكن استفادته حتَّى من عموم رواياتهم الأخرى.

حقاً ما أعظم حسرة الإنسان وهو يرى نفسه متردياً خاسراً لعدم استرشاده بالنصح الذي قدّمه لغيره، في حين يرى أنَّ من نصحه قد أخذ بنصحه ونجا وفاز يوم القيامة!

إنَّ الطريق إلى «فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون» طويل جداً، لكن هذا لا يعفينا أبداً، بل علينا أن نسير فيه دوماً، ولقد وعد الله تعالى عباده الساعين والمتوكّلين عليه بالتوفيق، وهو تعالى صادق الوعد، فلنترفع عن صغائر الأمور ونضاعف من اهتمامنا بأمور الآخرة عسى الله تعالى أن يأخذ بأيدينا ببركة أهل البيت (عليه السلام) ويجعلنا من المستفيدين من شهر رمضان المبارك لكي نرى أنفسنا بعد انصرامه وقد تغيّرنا نحو الأفضل، وازددنا

ورعاً وتقوى واقتراباً من حال الذين «فهم والجنة كمن قد رآها...».

ثم يقول (عليه السلام) في فقرة أخرى من الدعاء: «اللهم صلّ على محمد وآله، وأبدلني من بغضة أهل الشنآن المحبة ومن حسد أهل البغي المودة، ومن ظنة أهل الصلاح الثقة، ومن عداوة الأذنين الولاية، ومن عقوق ذوي الأرحام المبرّة، ومن خذلان الأقربين النصرة، ومن حبّ المدارين تصحيح المقة، ومن ردّ الملابس كرم العشرة، ومن مرارة خوف الظالمين حلاوة الأمانة».

هذه فقرة أخرى من دعاء مكارم الأخلاق يفتتحها الإمام السجّاد (عليه السلام) بالصلاة على النبي وآله الأطهار (عليهم السلام)، ثم يطلب من الله تعالى تسعة مطالب في تسع جمل، حيث يقول الإمام (عليه السلام): «وأبدلني من بغضة أهل الشنآن المحبة ومن حسد أهل البغي المودة».

المقصود بالشنآن: يوجد في اللغة البغض والعداوة وسوء الخلق، ولكل منها معنى، فقد يكون الشخص مبغضاً ولكنه لا يعادي، وقد يجمع الخصلتين ولكن من دون سوء خلق، وقد يجمع سوء الخلق إلى البغض والعداوة، ولذا فسر الشنآن لغةً بالبغض والعداوة مع سوء

الخلق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(١).

وقد يكون الشنآن نتيجة أعمال الإنسان السيئة فيكون من مصاديق قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾^(٢)، وقد يتلى الشخص بأهل الشنآن من غير أن يكون له دور فيه، كما لو رزق بجمال أو حسن خلق أو ذهن وقاد أو نعم أخرى، فيغضبه المبغضون لذلك.

من هم أهل الشنآن؟

عندما نتأمل في دعاء الإمام السجاد عليه السلام نجد أنه عدل من كلمة الشانئ أو الشانئين إلى «أهل الشنآن»، ولا بد أن نتدبر قليلاً لمعرفة السبب. فتارة يكون الشنآن عفوياً وتارة يكون بمنزلة الحرفة عند بعض الناس، كما أن للعلم والتجارة وغيرهما أهلاً بحيث يصدق عليهم أنهم علماء أو تجار، ولا يصدق على من تعلم مسألة أو بعض المسائل الشرعية أنه من أهل العلم، أو من ربح في صفقة واحدة أو صفقتين اتفاقاً أنه من أهل التجارة، إذ لا يقال للشخص أنه من أهل العلم مثلاً ما لم يكن

(١) الكوثر/ ٣

(٢) النساء/ ٧٩

جند نفسه للدراسة حتى عدت كالحرفة له. والإمام عليه السلام يطلب من الله تعالى أن يبدله المحبة ليس فقط من بغضة كائن من كان، ولا من بغضة أي شئ، بل يطلب من الله تعالى أن يبدله من بغضة أهل الشنآن الذين يضمّون إلى البغض والعداوة سوء الخلق والذين طبعتهم وشغلهم وديدنهم الشنآن وبغض الآخرين. وهذا أكثر ممّا لو طلب الإمام عليه السلام التخلص من بغض الشائئين فقط، ففيه اقتصار على طلب إبدال بغض الشائئ العادي فقط لكن الإمام عليه السلام ترقى إلى طلب التخلص من بغضة المتمرّسين من أهل الشنآن وإبدالها بالمحبة.

كيف نتعامل مع أهل الشنآن؟

فماذا ترى يفعل الإنسان للتخلص من أناس هذه شيمتهم؟ وكيف يتعامل مع أهل الشنآن وهم أشبه شيء بالعقارب التي شغلها اللدغ؟ في الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مدّ يده ليستلم الحجر الأسود فلسعته عقرب فقال: «لعنك الله لا برّاً تدعين ولا فاجراً».

فماذا بوسعك أن تفعل مقابل عقارب كهذه في المجتمع تلدغك من حيث لا تشعر؟ إلاّ أن تتوجّه إلى الله تعالى بالدعاء وتقول له كما علّمك الإمام السجّاد عليه السلام: «اللهم وأبدلني من بغضة أهل الشنآن المحبة».

الحلقة العشر

من

سبيل الزاكنين

قصة فيها الحكمة والعظة

نُقل أنّ شخصاً مرض وأوشك على الموت فقال لابنه: اذهب وادع لي فلاناً وفلاناً وفلاناً، وسمّي له بعض الأشخاص.

وعندما حضره التفت إليهم وهو مسجّى على فراش الموت وقال: إنّ لكم جميعاً عليّ حقوقاً وأرجو أن تحلّلوني منها فإنّي قد أفارقكم الساعة. تعجّب القوم وسألوه مستغربين: لا نعرف لنا عليك حقوقاً فهلاًّ عرفتنا بها؟

فقال: دعوكم من هذا وتفضّلوا عليّ بالعفو لأنّي موشك على الموت.

ولكنّهم أصرّوا على معرفة حقوقهم. ولما رأى إصرارهم التفت إلى الأول وقال: أتذكر حينما احترق بستانك واتّهمت فلاناً من الناس وحكم عليه القاضي؟ أنا الذي حرقتها وليس ذلك المسكين!

وزاد فضول الشخص لمعرفة تفاصيل القضية فالتمسّه أن لا ييخل بها عليه. فقال له: لقد دار النقاش في أحد الأيام بينك وبين زيد

واحتدم، فهَدَّكَ هو بحرق نخيلك، وكنتُ أسمع كلامكما فجئت في منتصف الليل وقمت أنا بإحراقها.

وحيث إنَّ زيدا كان قد هدَّكَ ألْبست في حقِّه التهمة وأودع السجن.

ثمَّ التفت إلى الثاني وقال له: إنَّ المشكلة التي نزلت بك في يوم كذا أنا افتعلتها. وهكذا أخذ يعدِّد لهم قضاياها واحدة بعد الأخرى.

إنَّ الدعاء والتوجُّه إلى الله تعالى هو الكفيل بأن يخلِّص الإنسان من شرور أشخاص كهذا، لأنَّ كثيراً من الناس لا يدرون من الذي يتربَّص بهم ليقومهم في حفر المشاكل والمصائب.

هذا في حين إن دعاء صغيراً - قد لا يستغرق دقائق - يتوجَّه به الإنسان إلى الله تعالى كفيل بأن ينجيه من الوقوع في مشاكل قد تدوم عقوداً ولا يُعرف كيف الخلاص منها. وفي يوم القيامة يدرك الإنسان أنَّه لو كان قد دعا ربَّه بذلك الدعاء لما ابتلي هذه المدة الطويلة، ولكن ماذا يجدي وقد ذهبَت السنوات من عمره سدىً ولات حين مندم.

دعم الدعاء بالعمل :-

الدعاء والعمل يكمل أحدهما الآخر ولا ينفع أحدهما من دون الثاني إلا إذا كان الإنسان عاجزاً إلا عن الدعاء.

قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(١) وقال أيضاً: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٢).

وفي هذا المجال «إبدال بغضة أهل الشنآن بالمحبة» ينبغي للإنسان أن يسعى - بمقدار علمه - إلى جانب الدعاء، لكي يقلب أهل الشنآن إلى محبين، كما في قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٣).

في هذه الآية الكريمة نكتة لطيفة يمكن استفادتها من كلمة «ادفع»، لأنّ الدفع في اللغة كالوقاية من المرض، والرفع كالعلاج للتخلص منه بعد الإصابة به. فمثلاً إذا دخل لصّ دارك فإنك عندما تحاول إخراجه فهذا يعني أنك تسعى لرفع السرقة، ولكنك عندما تقفل الأبواب بوجه اللصّ قبل دخوله الدار فهذا يعني أنك تقوم بدفع السرقة قبل وقوعها

(١) النجم/ ٣٩

(٢) الفرقان/ ٧٧

(٣) فصلت/ ٣٤

وتحول دون دخول اللص إلى دارك.

وفي المقام يرشدنا المولى تعالى إلى دفع السيئة «أي الحيلولة دون وقوعها» بالتي هي أحسن منها كفعل الخير والصلة وما أشبه.

أمّا النتيجة من هذا الدفع بالتي هي أحسن، فقد أشارت إليها الآية نفسها في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، أي أنه سيحبّه بقلبك ويدافع عنك بجوارحه وطاقاته.

ولا يخفى أنّ الإحسان إلى المسيئين يحتاج إلى عزيمة قوية، ولذلك عبّرت الآية نفسها عن هذه الخصلة بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(١).

وبقدر ما يكون الصبر على الإساءة تكون النتيجة مرضية، وإنّ هذا التوفيق وإن كان يحتاج إلى حظّ عظيم إلا أنّ مفتاحه بيد الإنسان نفسه.

وفي تاريخ علمائنا الأبرار - فضلاً عن أهل البيت (عليهم السلام) - الكثير من القصص التي يمكن للإنسان أن يستضيء بنورها.

نقل أحد الأشخاص - وكان هو الواسطة بين السيّد أبي الحسن

الأصفهاني قدّس سرّه وشخص آخر كان يكيل السباب والشتائم للسيد أي كان شائناً له - قال:

في أحد الأيام قلت للسيد أبي الحسن الأصفهاني - وكان قد بلغه أمر الرجل - : ماذا نضع معه؟ قال: أنت صديقه، فلا بأس أن تغتنم إحدى المناسبات لنذهب معاً إلى زيارته. فقلت له: سيدنا أتزوره؟ قال: نعم.

فسررت كثيراً لذلك لأنني كنت أحب أن تحل المشكلة، لأن ذلك الشخص كان صديقاً وكان شخصية اجتماعية أيضاً، وكان السيد مرجعاً في التقليد، فكنت أستاذ كثيراً من تصرف ذلك الصديق.

وكلّما ذكرت اسم السيد عنده لأفّعه بزيارة السيد له، كان يفعل ولا يدع مجالاً لذلك، حتّى مرض في أحد الأيام، فأخبرت السيد الأصفهاني بالأمر وقلت له: إنّها فرصة مناسبة. وجئت للرجل وقلت له: أنت مريض والناس يعودونك، فربما يعودك السيد أبو الحسن الأصفهاني. فإذا به يلتفت إليّ ويقول: بعد أن بلغه منّي ما بلغ؟ لا أظنّه يفعل. قلت: أنت تعرف السيد فهو يزور الجميع، ويعود المرضى. ثمّ

التفتُ إليه وقلت: هب أن السيّد جاء لعيادتك ماذا أنت صانع؟ قال: أهينه والله، ولا أقوم له.

قلت له: هب أنّه ليس من وصايا الإسلام الأكيدة احترام المؤمن، ولنفرض أنّك لا تلتفت لكونه عالم دين ومن سلالة البيت النبوي الطاهر، ولكن هل يسوغ لك أن تهين شخصاً جاء لزيارتك وحلّ ضيفاً عليك وأنت رجل عربي؟!

فتأمّل هنيئة ثمّ قال: إذن لا أهينه، ولا أقوم احتراماً له.

فذهبت إلى السيّد وأخبرته بالقضية وجئنا سوية لعيادة الرجل، وحينما دخلنا تظاهر أنّه لا يستطيع القيام من شدة المرض مع أنّه كان يستطيع، وأخذ يتناقل في جواب السيّد ولا يجب إلا بقدر الضرورة، ولكن السيّد ظلّ يلاطفه ويسأل أحواله وهو يجب بكلّ برود.

واستمرّ السيّد بملاطفته بأخلاقه الحسنة بحيث عندما خرج قام الرجل لمشايعته إلى الباب، وسألته بعد ذلك: كيف وجدت السيّد؟ قال: بعد إمام الزمان عبّل الله تعالى فرجه الشريف لا شخص أفضل منه على الإطلاق!

وهكذا صار هذا الشخص ولياً حميماً للسيد بعد أن كان عدواً
لدوداً، لأنَّ السيد قدس سرّه عمل بقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

الفهرس

المقدمة.....	(١)
الحلقة الأولى.....	(٣)
الغنى والرزق.....	(٥)
الحلقة الثانية.....	(١١)
الفقر والغنى.....	(١٣)
الحلقة الثالثة.....	(٢١)
مصدر الرزق.....	(٢٣)
الحلقة الرابعة.....	(٢٩)

- قدرة الله عز وجل.....(٣١)
- الحلقة الخامسة.....(٣٧)
- عبادة سيد الساجدين عليه السلام وعبادة أمير المؤمنين عليه السلام... (٣٩)
- الحلقة السادسة.....(٤٥)
- شرائط العبادة.....(٤٧)
- الحلقة السابعة.....(٥٣)
- العُجب.....(٥٥)
- الحلقة الثامنة.....(٦١)
- الخير للناس.....(٦٣)
- الحلقة التاسعة.....(٧١)
- الحلقة العاشرة.....(٧٧)

- (٧٩)..... الفرق بين معالي الأخلاق ومحاسن الأخلاق.....
- (٨٥)..... الحلقة الحادية عشرة.....
- (٨٧)..... من خصائص السيدة الزهراء عليها السلام.....
- (٩١)..... الحلقة الثانية عشرة.....
- (٩٥)..... سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.....
- (١٠١)..... الحلقة الثالثة عشرة.....
- (١٠٣)..... الاستبدال.....
- (١١١)..... الحلقة الرابعة عشرة.....
- (١١٣)..... نية الرشد.....
- (١١٩)..... الحلقة الخامسة عشرة.....
- (١٢١)..... شرح الفقرة (لا تدع لي..)

الحلقة السادسة عشرة..... (١٢٧)

الحلقة السابعة عشرة..... (١٣٥)

حاجات الإمام عليه السلام..... (١٣٧)

الحلقة الثامنة عشرة..... (١٤٣)

الورع..... (١٤٥)

الحلقة التاسعة عشرة..... (١٥٣)

الورع واجب عيني..... (١٥٥)

الحلقة العشرون..... (١٦١)

قصة فيها الحكمة..... (١٦٣)

الفهرس..... (١٧١)

